

بدل الاشتراك عن سنة
٦٠ في مصر والسودان
٨٠ في الأقطار العربية
١٠٠ في سائر الممالك الأخرى
١٢٠ في العراق بالبريد السريع
١ ثمن المدد الواحد
—
الأعلانات يخفى عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للأدب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المشرف
أحمد حسن الزيات
—
الإدارة
بشارع المبدولى رقم ٣٢
حاجين - القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العدد ١٠٩ « القاهرة في يوم الاثنين ٦ جمادى الأولى سنة ١٣٥٤ — ٥ أغسطس سنة ١٩٣٥ » السنة الثالثة

أساليب الاستعمار

قضية الحبشة

قضية الشرق وقضية الحرية

للاستعمار الغربي تاريخ أسود ، حافل بصنوف الاعتداءات
الدموية على حقوق الأمم الضعيفة ، وعلى أرواح الشعوب الآمنة
وحرياتها وأرزاقها ؛ ولكن هذا الاستعمار الدموي الغادر ، لم
يبلغ في عصر من العصور ، ولا في ظرف من الظروف ، ما يبلغه
اليوم من الجرأة والاستهتار ، بل من الأجرام والتوحش ، فهو
لا يحاول حتى أن يستر نياته كما عهدناه في الماضي أو يسبق على
تصرفه أى لون مشروع أو معقول ، بل يتقدم بكل بساطة ،
مسفراً عن برائته ، شاهراً سلاحه للقضاء على القرينة ، متغنياً
في غير حياء ولا وجل بما يستطيع أن يغم من وراء الدم المسفوك ،
والحريات المقتضبة ، والبلد المباح

تلك هي الصورة التي يعرضها لنا النزاع الإيطالى الحبشى .
ونقول النزاع من باب التجاوز ، إذ أى نزاع هنالك ؟ بلد حر

فهرس العدد

صفحة	
١٢٤١	قضية الحبشة
١٢٤٣	كلمات عن حافظ ... : الأستاذ مصطفى صادق الرافعي
١٢٤٧	من فضائل السيرة ... : الأستاذ محمد عبد الله عثمان
١٢٥٠	وقفة باليقين ... : الأستاذ طه الططاوى
١٢٥٣	النهضة التركية الأخيرة : الدكتور عبد الوهاب عزام
١٢٥٤	اللدنية الأمريكية : ترجمة الأستاذ محمد روس فيصل
١٢٥٦	فرقة الخوارج ... : فريد مصطفى عز الدين
١٢٥٩	حديث ... : الأديب أحمد الطاهر
١٢٦١	طائفة البهرا في الهند : محمد نزيه
١٢٦٤	الرافعي ... : الأستاذ محمد سعيد الصريان
١٢٦٧	وليم وردزورث ... : جريس القسوس
١٢٦٩	شهداء الانسانية (قصيدة) : الأستاذ عبد الرحمن شكرى
١٢٦٩	نهر الرضا ... : الدكتور ابراهيم ثايب
١٢٧٠	أيا صوفيا ... : أجد الطرابلسي
١٢٧١	نجوى ... : ابن عباس
١٢٧١	تطور الحركة الفلسفية : الأستاذ خليل خنداوى
١٢٧٣	في ألمانيا ... : الأستاذ خليل خنداوى
١٢٧٣	القرية الظلمة (قصة) : الأستاذ درويش خشيبة
١٢٧٧	للاؤتمر المصري الثالث الطلبة المصريين بالبحر . بين الرضاى والريحاني . معهد شرق في برلين
١٢٧٨	عبد الله . فرنسا . المرأة والاستكشاف . خليل بك مطران
١٢٧٩	وقرة التنبيل الحكومية
١٢٧٩	نواهد التحديث (كتاب) : الأمير شكيب أرسلان

ولا يحترم معاهدات خاصة عقدها مع الأمة التي ينوى اقتباسها
يوم كان يخطب ودها

تلك هي إيطاليا الفاشستية ، وذلك هو موقفها كما يعرضه
ذلك الرجل ! ذلك الطاغية الذي يزعم أنه بدوانه الصارخ على
حرية الأمم ، يقود أمته في سبيل المجد والعظمة والثراء ، وما
يقودها إلا في سبيل الدمار والفناء

— لقد كانت إيطاليا لأقل من قرن أمة ذليلة تصفدها أغلال
الحكم الأجنبي ، وكانت أوروبا والعالم كله يعجب بكفاحها في
سبيل حرياتها ؛ وما زالت أسماء أولئك الزعماء الذين قادوها في
سبيل الحرية أمثال ملازيني وأورسيني وكافور وجاربيالدي تستثير
عجاب الخلف وتقديره . ولكن إيطاليا ، ولكن ذلك الطاغية
الذي يسيطر على مصيرها اليوم ، يوشك أن يقضى بعموله الخرب
على ذلك الصرح النبيل الذي ما زالت تتخذة الأمم الطامحة إلى
حرياتها مثلاً أعلى

— إن هذا النزاع الذي تهتز له اليوم أرجاء العالم كله ، ليس
قضية إيطاليا والحبشة بل هو أجل شأنًا من ذلك وأبعد مدى ؛
هو قضية الغرب الظافر والشرق المفلوب ، وهو قضية الاستعباد
والحرية ؛ وإذا كانت قوى الاستعمار تتضافر اليوم مع إيطاليا
لتزيد حجة على جراتها ، وقوة على قوتها ، فذلك لأنها ترى
في سحق الحبشة سحق آخر معقل للحرية الأفريقية ؛ وإذا
كانت بعض الدول الاستعمارية تحاول أن تبذل باسم عصبة الأمم
جهوداً لاتقاء الحرب الأفريقية ، فليس ذلك حباً منها للسلام
أو عطفاً على الحبشة ، ولكن لأنها تشفق أن يثير هذا الفصل
الجديد في الصراع بين الشرق والغرب ، وبين الاستعمار ورفائعه ،
اضطراباً في أملاكها ومستعمراتها ، وأن يذكى في الأمم المستعبدة
روح الانتفاض والثورة فتعمل على تفويض سلطانها المنصوب
إن فرصة تلوح في الأفق للأمم الشرقية ، فهل تعنى الأمم
الشرقية بمراقبة الحوادث ، وهل تعد نفسها لانتهاز فرصتها ؟
(...)

مستقل منذ أحقاب التاريخ ، وشعب آمن مطمئن في أرضه التي
خصه الله بها ، يريد الاستعمار الفاشستي الناشم أن يلتهمه نهارة
جهاراً ؛ ولا عذر له — إن صح التعبير — إلا أنه يريد أن يزيد
في أرضه وفي ثرواته وفي سلطانه ، وأن يحقق شهوة عرضت له في
استباحة المضارب الحبشية الغنية بكنوز الطبيعة ، التي يضطرم جشعاً
للمحصول عليها . وأى طريق هذا الذي يلجأ إليه لتحقيق هذه
الشهوة الوضيعة الفاشطة ؟ هو القتل المنظم يسميه الحرب ، والفتك
الذريع يسميه الفتح ؛ هو القرصنة المجردة ، وهو السلب الجهر ،
وهو قطع الطريق ؛ وهو أخيراً كل ما في الجريمة من عدوان
واتهاك وكل ذلك باسم المدنية الغربية والتهديب الأوربي

وأوروبا المتمدنية ، ما هو موقفها من ذلك العدوان الآثم ؟
وشرائع الله وشرائع الأمم ما مصيرها ؟ أما أوروبا المتمدنية فهي
تأتمر جماعاً مع هذه الفاشستية السموية المتوحشة ؛ وإذا شذت دولة
فعرّضت بدوانها فإنما ذلك لغيرة أو منافسة ؛ وإنما عصابة
الاستعمار كلها يد واحدة تؤيد إيطاليا القوية الزاخرة بالجند
والسلاح ، لا باعتبارها دولة أوربية وقوة استعمارية فقط ، ولكن
باعتبارها دولة غربية تزعم أن تقترس أمة شرقية ، وأمة يبضاء
تزعم أن تقترس شعباً أسمر « ملوناً » ؛ وكلها تأتمر مع القوى
المتعدية ضد الضعيف المتدنى عليه ، فتمتنع عن بيع السلاح
للحبشة مصانة لإيطاليا ومؤازرة لقضية الاستعمار المشتركة ، لكي
تعجز الحبشة عن الدفاع عن نفسها ، ولكي يستطيع المتدنى أن
يحصد أبناءها المدافعين عنها بأيسر أمر

وأما شرائع الله وشرائع الأمم ، فإن هذا الاستعمار الباغى
ينتهكها شراً انتهاك ؛ بل إنه ليقه كبرياء إذ يستطيع انتهاكها
دون وازع ، ويزعم أنه يستطيع بما لديه من القوى والعدد أن
يسخر من رأى العالم ومن الانسانية كلها ؛ لحقوق الأمم وحرياتها
القدسة ، وأمن الشعوب وحياة الأمم والأفراد كلها لغوى نظره ؛
ثم هو بطلان قانون الأمم (القانون الدولي) بقدميه ويسحقه سحقاً ،
فلا تردده عن مشروعه الآثم معاهدات سلم وتحكيم يرتبط بها ،

كلمات عن حافظ

للأستاذ مصطفى صادق الرافعي

ذهبتُ بقلبي إلى كل مكان فوجدت أمكنة الأشياء ولم
أجد مكان قلبي ؛ أيها القلب المسكين أين أذهب بك ؟
هذا ما أُجبتُ به (حافظ) حين سألني مرة : ما لك لا
ترضى ولا تهتدأ ولا تستقر ؟ وكان يُخيل لي أنه هو راضٍ
مستقر هادئ ، كأنما قضى من الحياة نهيمته ولم يبق في
نفسه ما يقول نفسه ليت ذلك لي . وكنت أعجب لهذا الخلق
فيه ولا أدري ما تعليله إلا أن يكون قد خلق مطبوعاً بطابع
اليتيم فلم يعرف منذ أدرك ألا أنه ابن القدر ؛ تأتيه الأفراح
والأحزان من يد واحدة مقبلة كما تنال الصبي الطاف أبيه
ولعلات أبيه

وقد قلت له مرة : كأنك يا حافظ تنام بلا أحلام ؛ فضحك
وقال . أو كأنني أحلم بغير نوم

ولقد عرفته منذ سنة ١٩٠٠ إلى أن لحق بربه في سنة ١٩٣٢
فما كنت أراه على كل أحواله إلا كاليتيم محكوماً بروح القبر ،
وفي القبر أوله . ولما أزمع السفر إلى اليونان قات له : ألا
تخشى أن تموت هناك فتموت يونانياً . . . فقال : أو تراني لم
أست بعد في مصر . . . ؟ إن الذي بقي هين

ومن عجائب هذا اليتيم الحزين أنه كان قوى المكة في فن
الضحك ، كأن القدر هو ضه به ليؤجده في الناس مطف الآباء
وعبة الآخرة . ولم يتخل مع فقره من ذريعة قوية إلى الجاه ، ووسيلة
مؤكدة إلى ما هو خير من الفنى ؛ فكانت أسبابه إلى الأستاذ
الانام الشيخ محمد عبده ، ثم حشمت باشا ، ثم سعد باشا زغلول ؛
وهذا نظم هبيب في زمن (حافظ) يقابل الاختلال العجيب
في نفس حافظ ؛ فالرجل كالمفينة المتكفة شقة تمل بها موجة

(١) لا أتوفى حافظ رحمه الله كتبنا فصلاً طويلاً عن أدبه لندمتطف . فلم
نرض في كلماته هذه لعمري من أدب الرجل وانما هي ذكرى وبقايا من الأيام

وتعدها موجة ، وهي بهذه وبهذه تمر وتسير
وأولئك الرؤساء العظماء الذين جعلهم القدر نظاماً في زمن
حافظ كانوا من أقرر الناس إلى الفكاهة والنادرة ، فكان لهم كالثروة
في هذا الباب ، ووقع إصلاحاً في عييتهم وكانوا إصلاحاً في عيشه ؛
ولو أن الأقدار تشبه بالمدارس المختلفة اقلنا إن (حافظ)
تخرج منها في مدرسة التجارة العليا فهو كان أربع من
يتاجر بالنادرة

وهذه النوادر كأنها هي أيضاً صنعت (حافظ) في شكل
نادرة . فكان فقيراً ، ومع هذا كان للمال عنده متمم هو إنفاقه
 وإخراجه من يده ؛ وكان يتبا ، ولكنه دائماً متودد ؛ وكان حزيناً ،
ولكنه أنيس الطلعة ؛ وكان بانساً ، ولكنه سليم الصدر ،
وكان في ضيق ، ولكنه واسع الخلق ؛ وقام النادرة فيه أنه كان
طوال عمره متبسطاً مهترأ كأن له زمناً وحده غير زمن
الناس ، فتراكم عليه الموم وهو مستنيم إلى الراحة ، ويعتريه
من الجوع مثل مكسلة الشبع ، ويسترسل إلى البطالة
وكأنه مستمر للجد ، ويستمكن الحزن منه في سناحة
فيشهد حزنه بالساعة التالية

رأيت في أحد أيام يؤسه الأولى قبل أن يتصل عيشه وكان
يعد قروشاً في يده فقلت : ما أمر هذه القروش ؟
قال : كنت أقامر الساعة فأضمت ثلاثين قرشاً ولم يبق لي
غير هذه القروش للموتة ، ففلم تنمش . ودخل إلى مطعم كان
وراء حديقة الأزيكية فزعمت له أني تمشت . . . فأكل هو
ودفع ثمن طعامه ثلاثة قروش . وكنت أطالع في وجهه وهو
يأكل ، فما اندكره الآن إلا كما طالته بعد عشرين سنة من ذلك
التاريخ حين دعاني (حافظ) إلى مطعم بار اللواء وقد فاضت
أنامله ذهباً وفضة . وكان رحمه الله قد أسدر الجزء الثاني من
(البؤساء) ورآني في القاهرة فأمسك بي حتى قرأت معه
الكتاب كله فيما بين الظهر والغرب ؛ وركبنا في الأسيل عربية
وخرجنا تنزه أي خرجنا نقرأ ...

وكان على وجه (حافظ) لون من الرضى لا يتغير في يوم

ومطارات السمر من مظائرها في الكتب ورجال الأدب وأهل المجون ، فإذا قصها على من يحاله زاد في أسلوبها أسلوبه هو ، وجعل يقلبها ويتصرف فيها ويبين عنها أحسن الالبانة بمنطقه ووجهه ونبرات في لسانه ونبرات في يده

وهو أصمى هذا الباب خاصة ، يروي منه رواية عريضة ، فإذا استهل "سح" بالنوادر سحاً كأنها قوافي قصيدة تدعو الراحدة منها أختها التي بمدى

وقد أذكرني (القوافي) مجلساً حضره قديماً في سنة ١٩٠١ أو ١٩٠٠ وكان (مصباح الشرق) قد نشر قصيدة رائية لابن الرومي ، فتعجب الرحوم الشيخ محمد المهدي من بنطة ابن الرومي في قوافيه ، فقال له (حافظ) هلم تتساجل في هذا الوزن حتى ينقطع أحداً . وكانت القافية من وزن : قدراًها ، أحرها ، أخضرها الخ ، وجلت أنا أحصى عليهما ؛ فلما ضاق الكلام كان الشيخ المهدي يفكر طويلاً ثم ينطق باللفظ ولا يكاد يفعل حتى يرميه حافظ على البديهة ، فيمود الرجل إلى الاطراق والتفكير ؛ ثم انقطع أخيراً وفي حافظ يسرُّد له من حفظه التزيب أما في النوادر العجيبة التي اتفقت له في هذا الباب أنه جاء إلى طنطا في سنة ١٩١٢ ومديرها يومئذ الرحوم « محمد عجب باشا » وكان داعية ذكياً وظريفاً لبقاً ، وكنت أخالطه وأتصل به ، فدما (حافظ) إلى المشاء في داره ؛ فلما مدت الأيدي قال الباشا : لي عليك شرط يا حافظ . قال وما هو ؟ قال : كل لقمة بتادرة فتهلل حافظ وقال : نعم لك على ذلك . ثم أخذ يقصُّ ويأكل ، والمشاء حافل ، وحافظ كان نهماً لما انقطع ولا أخل حتى وفي بالشرط . وهذا لا يمنع أن الباشا كان يتناقل ويتناضى ويتناغل بالضحك فيسرع حافظ ويتناط بغمه

ولكن هذه المضحكات أضحكت من (حافظ) مرة كما أضحكت به . فلما كان يترجم (مكبث) لشكسبير — وهي كأعماله الناقصة داعماً — دعوه لالقاء (محاضرة) في نادي المدارس العليا ، والنادي يومئذ يجمع خير الشباب حميةً وعلماً ، وكان صاحب السرفيه (السكرتير) زينة شباب الوطنية المرحوم أمين بك الرافعي . فقام حافظ فأنشدهم بعض مآثره نظمًا عن شكسبير ومثله تمثيلاً

ولا نعيم كيباض الأبيض وسواد الأسود . وهذا من عجائب الرجل الذي كان في ذات نفسه فناً من الفوضى الإنسانية حتى لكأنه حلم شعري يبدأ من أبيه ثم انقطع وترك لتتبعه الطبيعة !

ومن نظر إلى (حافظ) على اعتبار أنه فن من الفوضى الإنسانية رآه جيلاً جمال الأشياء الطبيعية لا جمال الناس ؛ فقيه من الصحراء والجبال والصخور والفياض والرياض والبرق والرعد وأشباهاها . وكنت أنا أراه بهذه العين فأستجمله ، ويبدو لي جزلاً مطبوعاً ، وأرى في شكله هندسة كهندسة الكون تنعم بحاسنها بمقاييحها . وكنت قلت له : إنك يا حافظ أجل من القفر أما هو فكان يرى نفسه دميماً شنيع المראה متفاسوت الخلق كأنه إنسان مغلوط في تركيبه . . .

وقد سأله مرة : هل أحب ؟

فقال : النساء اثنتان : فاما جميلة تنفر من قبحي ، ولما دميمة أنفر من قبحها ؛ ولهذا لم يفلح في النزل والنسب ، ولم يحسن من هذا الباب شيئاً يسمى شيئاً ؛ وبق شاعراً غير تام ، فان المرأة للشاعر كواء لآدم ، هي وحدها التي تعطيه مجبها علماً جديداً لم يكن فيه . وكل شرها أنها تتخطى به السموات نازلاً . . .

وتهدم حافظ في أواخر أيامه من أثر المرض والشيخوخة ، وكان آخر العهد به أن جاء إلى إدارة (المقتطف) وأنا هناك فلم يرق حتى بادرنى بقوله : ماذا ترى في هذا البيت في وصف الأمريكيين : وتخذتم موج الأثير بربداً

حين خلدتم أن البروق كيبالي (١)

فنظرت إلى وجهه المروق المتفضن وقلت له : لو كان فيك موضع قبلة لقبلك لهذا البيت ؛ فضحك وأدار لي خده ؛ ولكن بقي خده بلا تقبيل . . .

وشهرة هذا الأديب العظيم بنوادره ، ومخفوظاته من هذا الفن أمرٌ مجمع عليه ؛ وكان يتقصر النوادر والفكاهات

(١) هذا البيت من قصيدة نظمها حافظ يخاطب فيها الأمريكيين وقد أمرنا في مقالنا في المقتطف إلى أن نضاء مسروق

فالأستاذ الامام وسعد زغلول وقاسم أمين : أحد هؤلاء أو جميعهم أصل هذا المذهب الذي ذهب اليه حافظ . وهو كثير ما كان يقتبس من الأفكار التي تعرض في مجلس الشيخ محمد عبده من حديثه أو حديث غيره فيدعي عليها أو يدخلها في شعره . وهو أحياناً ردي الأخذ جداً حين يكون المعنى فلسفياً إذ كانت ملكة الفلسفة فيه كالمطلقة ، وإنما هي في الشاعر من ملكة الحب ، وإنما أولها وأصلها دخول المرأة في عالم الكلام بإبهامها وترتيبها ...

وكنيت أول عمدي بالشعر نظمت قصيدة مدحت فيها الأستاذ الامام وأنقذتها اليه ، ثم قابلت حافظ بعدها فقال لي إنه هو تلاها على الامام ، وأنه استحضرها . قلت : فإذا كانت كلمته فيها ؟ قال : إنه قال : لا بأس بها ...

فاضطرب شيطاني من الغضب ، وقلت له : إن الشيخ ليس بشاعر ، فليس رأيه في الشعر كبير معنى . قال : ويحك إن هذا مبلغ الاستحسان عنده
قلت : وماذا يقول لك أنت حين تنشده ؟ قال : أهمل من ذلك قليلاً ... فأرضاني والله أن يكون بيني وبين حافظ (قليل) ، وطعمت من يومئذ

وأنا أرى أن « حافظ ابراهيم » إن هو إلا ديوان « الشيخ محمد عبده » ، لولا أن هذا هذا ، لما كان ذلك ذلك
ومن أثر الشيخ في حافظ أنه كان دائماً في حاجة إلى من يسمعه ، فكان إذا عمل آياتاً ركب إلى اسماعيل باشا صبرى في القصر العيني ، وطاف على القهوات والأندية يسمع الناس بالقوة ... إذ كانت أذن الامام هي التي ربت الملكة فيه ، وقد بينا هذا في مقالنا في (الفتطف)

وكان تمام الشعر الحافظي أن ينشده حافظ نفسه ؛ وما سمعت في الانشاد أعرب عربية من البارودي ، ولا أعذب عذوبة من الكاظمي ، ولا أنعم نخامة من حافظ ؛ رحمهم الله جميعاً

وكان أدبنا يُجمل البارودي أجلاً عظيماً ، ولما قال في مدحه :
فُسر كل معنى فارسي بطاعتي وكل نفور منه أن يتوددا

أفرغ فيه جهده فأطرب وأعجب . ثم سأله (المحاضرة) فأخذ يلقي عليهم من نوادره . وبدأ كلامه بهذه النادرة : عرضت على المتعم جارية يشتريها ، فسألها : أنت بكر أم ثيب ؟ فقالت : كثرت الفتوح على عهد المتعم ...

ونظر حافظ إلى وجوه القوم فأنكرها ... وبقيت هذه الوجوه إلى آخر المحاضرة كأنها تقول له : إنك لم تُفزع

ولقد كان هذا من أقوى الأسباب في تثبيته (حافظ) إلى ما يجب للشباب عليه إن أراد أن يكون شاعراً ، فأقبل على القصائد السياسية التي كسبهم بها من بعد . ونادرة المتعم كالوردة المكشوفة ؛ ولست أدري أكان حافظ يعرف النادرة البديعة الأخرى أم لا . فقد عرضت جارية أديبة ظريفة على الرشيد فسألها : أنت بكر أم إيش ؟

فقلت : أنا (أم إيش) يا أمير المؤمنين ...

وفن (الشعر الاجتماعي) الذي عرف به حافظ ؛ لم يكن فنّه من قبل ولا كان هو قد تنبه له أو تحراه في طريقته . فلما جاءت إلى مصر الأمباطورة (أوجيني) نظم قصيدته الثنوية التي يقول فيها :

فأعذرنا على القصور كلانا غيرته طواري الحدثان
ولقيته بعدها فسألني رأيي في هذه القصيدة ، وكان بها مدلاً مُعجباً شأنه في كل شعره ؛ فالتفت منها أشياء في ألفاظها ومعانيها وأشرت إلى الطريقة التي كان يحسن أن تخاطب بها الأمباطورة . فكانني أغضبته ؛ فقال : إن الشيخ محمد عبده ، وسعد زغلول ، وقاسم أمين ، أجموا على أن هذا النمط هو خير الشعر ، وقالوا لي : إذا قممت فأنظم مثل هذا « الشعر الاجتماعي » ، ثم كأنه تنبه إلى أنها طريقة يستطيع أن يتفرد بها فقال : إن كل قصائد شوقي الآن غزل ومدح ، ولا أثر فيها لهذا الشعر ، على أنه هو الشعر

وتتابعت قصائده الاجتماعية ، فلقيني بعدها مرة أخرى فقال لي : إن الشاعر الذي لا ينظم في الاجتماعيات ليس عندي بشاعر . وأردت أن أغبطه فقلت له : وما هي الاجتماعيات إلا جمل مقالات الصحف - قصائد ... ؟

الشعراء فيه ، فغضب حافظ لذلك غضباً شديداً ، وما كاد يرانى فى القاهرة حتى ابتدرنى بقوله : ورب الكعبة أنت كاتب المقال ! وذمة الاسلام أنت صاحبه

ثم دخلنا إلى « قهوة الشيعة » فقال فى كلامه : إن الذى يغىظنى أن يأتى كاتب المقال بشاعر من غير مصر فيضعه على رءوسنا نحن المصريين . فقلت : ولعل هذا قد غاظك بقدر ما سرك ألا يكون الذى على رأسك هو شوقى . . .

وغضب السيد توفيق البكرى غضباً من نوع آخر ، فاستعان بالرحوم السيد مصطفى النفلوطى استماعة ذهبية وشتم النفلوطى فكتب مقالا فى (مجلة سركيس) يمارض به مقال (الثريا) ، وجعل فيه البكرى على رأس الشعراء ومدحه مدحا بَرِنَ رنيناً

أما أنا فتناولنى بما استطاع من الذم وجردنى من الألفاظ والمغاني جميعاً ، وعدت فى الشعراء ليقول إنى لست بشاعر . . . فكان هذا رد نفسه على نفسه ^(١)

وتعلق مقال النفلوطى على المقسمال الأول فاشتهر به لا بالنفلوطى ؛ وغضب حافظ مرة ثانية ، فكتب إلى كتاباً يذكر فيه تمسّش هذا الكاتب وتعامله ، ويقول قد وكلت إليك أمراً تأديبه

فكتبت مقالاً فى جريدة (النبر) وكان يصدرها الأستاذان محمد مسمود وحافظ عوض ، ووضعت كلمة النفلوطى التى دمتى بها فى صدر مقالى أواخرها وقلت : إنى كذلك الفيلسوف الذى أرادوه أن يشفع إلى ملكه فأكب على قدم الملك حتى شفعه ؛ فلما عابوه بأنه أزال حرمة الفلسفة بأنمائه على قدم الملك وسجوده له ، قال : ويحكم ، فكيف أضع إذا كان الملك قد جعل أدنيه فى رجليه

ولم يكن مضى لى فى معاملة الشعر غير سنتين ، حين ظهر مقال (الثريا) ، ومع ذلك أصبح كل شاعر يريد أن يعرف رأى فيه ؛ فررت ذات يوم (بحافظ) وهو فى جماعة لا أعرفهم ، فلما

(١) نشر المرحوم النفلوطى مقاله هذا فى الطبعة الأولى من كتابه (النظرات) بعد أن هذب ؛ ثم حذفه من الطبقات الأخرى لأنه هو كان يعلم أن النافعة المستأجرة لا يسى بكأوها بكاء

قلت له : ما معنى هذا ؟ وكيف يأمر البارودى كل معنى فارسى وما هو بفارسى ؟

قال : إنه يعرف الفارسية ، وقد نظم فيها ، وعنده مجموعة جمع فيها كل المغاني الفارسية البديعة التى وقف عليها . قلت : فكان الوجه أن تقول له : أعرنى المجموعة التى عندك . . . أما الكاظمى فكان حافظ يحبب فيه ويأعده ، حتى قال لى مرة وقد ذكرته به : « عَقَفْنَاهُ يَا مِصْطَافَى ! »

وما أنسى لا أنسى فرح حافظ حين أعلمته أن الكاظمى يحفظ قصيدة من قصائده . وذلك أنهم فى سنة ١٩٠١ — على ما أذكر — أعلنوا عن جوائز يمنحونها من جديد فى مدح الخديو ، وجعلوا الحكم فى ذلك إلى البارودى وصبرى والكاظمى . ثم تجلّى البارودى وصبرى ، وحكم الكاظمى وحده ، فقال حافظ المدالية الذهبية ونال مثلها السيد توفيق البكرى

ولما زرت الكاظمى وكنت يومئذ مبتدئاً فى الشعر ولا أزال فى الشَّرَرِزْمَةِ ^(١) قال : لماذا لم تدخل فى هذه المباراة ؟ قلت : وأين أنا من شوقى وحافظ وفلان وفلان ؟ فقال : « ليه تخلى رحمتك ضميعة ؟ » ثم أسمعنى قصيدة حافظ وكان معجباً بها ، فنقلت ذلك إلى حافظ فكاد يطير عن كرسيه فى القهوة

وكان تمسّش حافظ على الكاظمى لأنه غير مصرى . ففى سنة ١٩٠٣ كانت تصدر فى القاهرة مجلة اسمها (الثريا) فظهر فى أحد أعدادها مقال عن الشعراء بهذا التوقيع (*) . وانفجر هذا المقال انفجار البركان ، وقام به الشعراء وقعدوا ، وكان له فى النارة عليهم كزيف الجيش وقصفه السلاح ، وتناولته الصحف اليومية ، واستمرت رجفته الأدبية نحو الشهر ؛ وانتهى إلى الخديو ، وتكلم عنه الأستاذ الامام فى مجلسه ، واجتمع له جماعة من كبار أستاذة العصر السورىين كالملاحة سليمان البستاني ، وأديب عصره الشيخ ابراهيم اليازجى ، والمؤرخ الكبير جورجى زيدان — إذ كان صاحب المجلة سورياً — وجعلوا ينفذون إلى صاحب المجلة دسيساً بعد دسيس ليملأوا من هو كاتب المقال

وشاع يومئذ أنى أنا الكاتب له ؛ وكان الكاظمى على رأس

(١) الفرزومة أول قول الشعر حين يكثر الردىء فيه يقال فلان يفرزم

قضايا التاريخ الكبرى

٢ - من قضايا السحرة

صفحة من الجرائم المروعة

للأستاذ محمد عبد الله عنان

تقع عليه شبهة الاتهام يقبض عليه بأمر الملك أعني بواسطة «التر دي كاشيه» (أو رقعة السجن)، وتقدم نتيجة التحقيق الأول إلى النائب العام، وله وحده أن يقرر المواجهة بين الشركاء، وعند انتهاء التحقيق يرفع به تقرير ضاف إلى «الفرقة الساطمة»؛ وهي تقرر ما إذا كان يجب الاستمرار في اعتقال التهم، فإذا قررت ذلك، استمر التحقيق معه؛ وعند نهايته، ترفع أوراق الاتهام إلى المحكمة، فيقرؤها انقضاء، ويقدم نائب الملك (النائب العمومي) طلباته سواء بتبرئة التهم أو بالحكم عليه؛ ثم تسمع أقوال التهم فوق منصة المحكمة، ويندها تصدر المحكمة حكمها غير قابل للاستئناف

وكانت «الفرقة الساطمة» تعقد في قصر «الأرسينال»؛ واستمر انعقادها باستمرار حتى يولييه سنة ١٦٨٢ عدا فترة أشهر وقفت فيها جلساتها؛ وبلغ عدد المتهمين الذين قدهوا إليها ٤٤٢ متهمًا، تقرر استمرار اعتقال ١١٨ منهم؛ وحكم بالإعدام على ستة وثلاثين، وتقرر تذيبهم بالتحقيق العادي وبالتحقيق الاستثنائي، ثم أعدموا حرقًا كما سيجيء؛ ومات اثنان في السجن؛ وحكم على خمسة بالاشغال الشاقة، وبالبقي على ثلاثة وعشرين؛ وأطلق سراح الباقيين لأنهم أبرياء، ولكن لأن لهم شركاء في التهم المستندة اليهم من أكابر الدولة والسادة وأرفع سيدات البلاط

يقول فولتير في كتابه «عصر لويس الرابع عشر» في حديثه عن قضية السحرة، إن أعظم رؤوس في المملكة استدعوا لاجراء أقوالهم أمام «الفرقة الساطمة» ومنهم ابنتا أخت الكوردينال مازاران؛ والدوقة دي بوبون، والكونتيسة دي سواسون والدة البرنس أوجين، والماريшал دي لوكسمبورج؛ وقد كان هؤلاء جميعاً ولغيرهم من أكابر المملكة علائق ومعاملات مع السحرة

وقد كشف التحقيق عن واقعة أشنع وأفظع هي أن حياة الملك ذاتها كانت موضعاً لاثثار السحرة، وأن التحريض على اغتيالها لم يجرى إلا من أعماق القصر، ومن أقرب المقربين لشخص الملك ذاته

كانت مدام دي مونتسبان حظية لويس الرابع عشر الشهيرة،

كان لظهور هذه الحقائق الروعة عن جرائم السحرة وقع عميق في باريس وفي فرنسا بأسرها؛ ولم يكن القضاء العادي ليكفي لبحق هذه الطغمة الآفة وتطهير المجتمع من عيبتها الذريع، فرأى لويس الرابع عشر ووزرائه أن يعد بمقابها إلى القضاء الاستثنائي، وانتدبت لذلك محكمة خاصة هي «الفرقة الساطمة»^(١) الشهيرة في تاريخ ذلك العصر، وصحبت كذلك لأن المحاكم الخاصة التي تنتدب للنظر في الجرائم الكبرى كانت تجلس في غرفة نجل جدرانها بالسواد وتثار بالشمع والصايح

وعقدت «الفرقة الساطمة» جلساتها الأولى في العاشر من أبريل سنة ١٦٧٩، وقررت أن تكون إجراءاتها وتحقيقاتها سرية حتى لا يقف الجمهور على شيء من الأعمال السحرية أو أسرار السموم؛ وتولى الرئاسة المستشار لوي بوشرا كونت دي كومبان يماونه عدة من أعضاء مجلس الدولة؛ وتولى لاريبي مهمة القاضي المحقق؛ وكانت إجراءاتها تتلخص في أن كل من

La Chambre ardente (١)

اطمأن في المجلس قال حافظ: مارأيك في شعر اليازجي؟ فأجبه: قال: قالبستاني، فتجيب الحداد، ففلان، ففلان؛ فداود بك عمون؟ قلت: هذا لم أقرأ له إلا قليلاً لا يسوغ معه الحكم على شعره. قال: فإذا قرأت له؟ قلت: رده على قصيدتك إليه: شجنتنا مطالع أقارها. قال فما رأيك في قصيدته هذه؟ قلت: هي من الشعر الوسط الذي لا يعلو ولا ينزل

فما راعني إلا رجل في المجلس يقول: أنصفت والله! فقال حافظ: أقدم لك داود بك عمون..... رحم الله تلك الأيام ما

صفحة من الجرائم المروعة

(ططا)

لاقوازان لدى وصيف بالقصر من معارضا ليسهل لها مهمة تقديم المريضة بنفسها

وارتاع الجناة لجرأة لاقوازان ، وتنبأوا لها بالوقوع بين برائن القضاء متهمة بجرعة دولة ؛ ولم يكن الموت شر ما يخشاه السحرة في تلك العصور ، بل كان التعذيب أشد ما يروعهن ، بيد أن لاقوازات كانت تخلفها وتقرها مائة ألف جعلها مدام دي مونتسبان نمنا للجرعة (نحو مليون فرنك من النقد المعاصر) ، فقصدت إلى سان جرمان في يوم ٥ مارس سنة ١٦٧٩ ، ثم في التاسع منه ، محاولة أن تصل إلى الملك فتقدم اليه المريضة السمومة ، ولكنها لم تفز بيفئها ، فعادت مكتئبة إلى باريس ، ولكن مصممة على أن تمود في أول فرصة . بيد أن عين لاريني كانت ساهرة رقب أعمال السحرة ؛ وفي الثاني عشر من مارس قبض عليها وعلى ابنتها مرجريت ، وعلى عدة من شركائها حسب أسلفنا .

ولما ذاع نبا القبض على لاقوازان وشركائها ، ارتفعت مدام دي مونتسبان ، وغادرت البلاط في الحال إلى الريف ، فحككت هنالك مدى حين

أنفقت المحكمة الخاصة أو « الفرقة الساطمة » أشهراً طويلة في تحقيقات وإجراءات يتسع نطاقها يوماً عن يوم ، وكان التحقيق يمتد شيئاً فشيئاً إلى طائفة من الرؤوس الكبيرة ، حتى أن المحقق لاريني اضطر أن يطلب حرساً خاصاً لمراقبته في زيارته لسجن قفسان حيث اعتقل المتهمون ، وكثر الهمس والوعيد حول قضاة الفرقة الساطمة ، واهتم الملك ووزرائه بالأمر ، وكتب لوفوا رئيس الوزارة إلى رئيس المحكمة يقول له : إنه لمناسبة ما نعي إلى جلالة من الحديث حول « الفرقة » وإجراءاتها ، فإن جلالة قد أمر بتبليغ القضاة أنه يؤكد لهم حمايته ، وأنه يطلب اليهم أن يستمروا في إقامة العدالة بثبات . ثم زاد الملك على ذلك فاستدعى اليه قضاة المحكمة ليطمئنهم ويشجعهم ؛ ويقول لنا لاريني تعليقاً على تلك المناقبة ، إن جلالة قد أوصاه بتحقيق العدالة والواجب ، وإنه يرجو تحقيقاً لخير المجموع أن تنفذ جهود الاستطاعة إلى أسرار جرائم السموم ، وأن نبحث جذورها إذا

قد وصلت في ذلك العصر إلى ذروة القوة والنفوذ ، وتبوأ في البلاط أرفع مكانة ، وبسطت سلطانها على الملك التيم مدى أعوام طويلة ؛ ولكن حل عهد السأم والهجران أخيراً ، ومال الملك عن حظيته القديمة إلى حظية جديدة هي فتاة من وصيفات الشرف تدعى الآنسة دي فونتايج ، فلما شعرت مدام مونتسبان بأفول نجمها اضطرت سخطاً وياساً ، وفكرت في أن تنقم من الملك وحظيته الجديدة معاً ، واتصلت بالساحرة لاقوازان وزميلة لها تدعى لاريانون ، فتمهدتا بتدبير مشروع لاغتيال الملك ؛ وتمهد الساحران السمان روماني وبرتران بقتل الآنسة دي فونتايج ، وبذلت مدام دي مونتسبان للسحرة مالا وفيراً

وكانت مدام دي مونتسبان إبان نفوذها وسلطانها وثيقة الصلات بلاقوازان وشركائها ؛ وكانت تلجأ إلى السحرة التماساً لتوطيد نفوذها بفعل السحر والتمائم ؛ وكانت هذه الحشناء المتكبرة تقول عند دجل السحرة ، وتقبل الاشتراك في إجراءات السحر الأسود ، فترقد طرية أمام أولئك الطغام ، وتقوم لاقوازان وزملائها بإجراء القران الدموي والسحر الأسود ، وتمتدح الحظية الهائجة أنها بذلك تذكي نار جهنم في نفس الملك وتوطد دعام نفوذها وسلطانها

ويتلخص مشروع اغتيال الملك كما دونه لاريني من أقوال لاقوازان وشركائها في أن الجناة فكروا أولاً في أن يزهقوا الملك بالسم ، وذلك بأن ينثروه على ثيابه أو حينما اعتاد أن يمر ، فيستنشقه تباعاً ويموت يبطء ، وتمهدت الآنسة ديزيه وصيفة مدام دي مونتسبان بتأدية هذه المهمة . ولكن لاقوازان رأت بعد التفكير أن تلجأ إلى وسيلة أخرى . وذلك أن لويس الرابع عشر اعتاد طبقاً لعادة قديمة أن يتاق بنفسه في أيام معينة المرائض التي يرفعها اليه رعاياه بالتظلم والالتماس ، ويسمع لكل بالدخول عليه عندئذ دون فارق أو تمييز ، ففكرت لاقوازان أن تمد عريضة من هذا النوع تضمخها بنوع من السم الزطاف ، فإذا تناولها الملك بين يديه سرى اليه السم وهلك ؛ وتمهدت الساحرة لاريانون باعداد هذه العريضة ، وتمهدت لاقوازان بتقديمها إلى الملك . ورؤى أن يكون موضوعها طلب الفوت لشخص يشتغل بالسيميا ويدعى بليس ويتقله المركيز دي ترم في قصره ، وسمت

حكمت بالاعدام والتعذيب على ستة وثلاثين متهما ثبتت إدانتهم في مزاولة التسميم والأعمال السحرية الاجرامية ، وذلك من مجموع قدره مائة وثمانية عشر متهما . وثلاثة لاعدام في المحكوم عليهم نياغا ؛ وكان إعدام السحرة يجري بطريق الحرق دائما . وكانت لافوازان ولافيجوريه ولباسج في مقدمة المحكوم عليهم بهذا الموت المروع . وقد احرقوا معا في « ميدان جريف » . ونصف لنا مدام دي شفينيه الكاتبة الشهيرة منظر لإحراق الساحرة لافوازان - وقد شهدته بنفسها - وتقول لنا « لقد أسلحت لافوازان روحها للشيطان في لاف » . وينقل إلينا الكاهن الذي تولى مرافقة الساحرة إلى الحرفة كلماتها الأخيرة وهي : « لاني مثقلة بأكداس من الجرائم ، ولست أدعو الله أن يتقذني من النار بعمجرة ، لأن ما سألقاه من الجزاء لا يقاس بشئ ، مما ارتكبت »

ويقدم إلينا فولتير في كتابه « عصر لويس الرابع عشر » خلاصة لهذه الحوادث والمحاكمات الكثيرة ثم يعاق عليها بقوله : « نستطيع أن نتصور أية إشاعات مروعة أذيت خارج باريس . بيد أن حكم الاعدام التي قضى به على لافوازان وشركائها قد وضع في الحال حدا لهذه الأعمال وهذه الجرائم ؛ وقد كانت هذه الحرفة المروعة محصورة في شذوذة من الناس ، ولم تلوث أخلاق الأمة كلها ؛ بيد أنها طبت أذهان الناس بجمل سقيم إلى اعتبار الوفيات الطبيعية ، نتيجة الجريمة »

والواقع أن هذا التبت من الآثام والجرائم المروعة ياتي ضياء كبير أعلى روح هذا العصر وخلال - ويؤيد حقيقة تاريخية خالدة ، هي أن عصور العظيمة القومية ، تتكشف في الغالب عن صنوف من الانحطاط للعنوى والاجتماعي تناسب مع ما تبثه نماء العصر وترفه من ألوان الفساد الروحي والأخلاق ، ومع ما يذكبه العصر من الشهوات الانسانية الوضيعة . وقد كان عصر لويس الرابع عشر بلا ريب على ما بلته من العظلة والبهاء يعاق فعل هذه العناصر الهدامة التي انحدرت بالجنم الفرنسي غير بعيد إلى درك من التفكك والانحطاط ، كان نذر الثورة الفرنسية الكبرى (١)

نمر عبد الله عثمان

تم البحت

(١) اعتدنا في هذا البحث على كتاب العلامة فونك برتاتو Le drame des poisons وكتاب فولير Siecle de Louis XIV

استطعنا ، وذلك دون تفريق بين الأشخاص والقامات بيد أنه قد طلب إلى القضاة من جهة أخرى أن يلزموا التحفظ في بعض الأمور ، وظهر أثر هذا التحفظ في الحرص على عدم حالة لافوازان إلى التعذيب ، وذلك خوفاً من أن ينطلق لسائها حين التعذيب بما لا يريدها أن يذاع وأن يعرف ؛ ومع ذلك فقد صرحت لافوازان في ساعتها الأخيرة عقب الحكم عليها بالاعدام « أنها مضطرة لأن تقول اراحة لضميرها إن عدداً كبيراً من الناس من جميع الطوائف والطبقات قد لجأ إليها سعيًا إلى ازهاق الكثيرين ، وإن الباعث الأول لهذه الجرائم إنما هو الفجور » ولما وقف لويس الرابع عشر على أقوال مارجريت مونتوازان ابنة لافوازان عقب اعدام أمها ، كتب إلى لاريني يطلب إليه أن يدون اعترافاتها وما يترتب على هذه الاعترافات من مواجهات ومناقشات في ملف خاص ، وكذلك أقوال الساحرين روماني وبرتران ، وهما من شركاء لافوازان . وقد كانت أقوال مارجريت مونتوازان ذات أهمية خاصة لأنها تملق بمشروع تسميم الملك ، ومن جهة أخرى فقد وعد لوفوا الساحر ليساج بأن يتقذ حياته إذا قال كل شيء ، ولكنه لما ذهب في اعترافاته إلى حدود مروعة ، رمى بالكذب ولم يقبل للحق أن يصنى إليه بعد ؛ وأدلت متهمه أخرى تدعى فرانسواز فيلاستر بمعلومات مثيرة مدعشة ، فأمر الملك بأن تودع أقوالها في ملف خاص ، وأن ترفع إلى مجلسه ؛ وهكذا بلغ من اهتمام لويس الرابع عشر بهذه القضية أن لبث يتتبع كل أدوارها ، وأن يسحب من أوراق التحقيق كل ما لا يرغب في اذاعته ؛ والواقع أن لويس الرابع عشر تأثر أيعا تأثر لما كشفت عنه التحقيقات من الوقائع والحقائق المؤلة التي تسييه في أعز مواطنه وفي كرامته الملكية . ألم تلجأ حظيته التي كان يسندها إلى السحرة ، وتلوث نفسها وجسمها في معاهدم سميًا إلى ازهاقه ؟ أليست مدام دي مونتسبيان أم أولاده المحبوبين ؟ ومع ذلك فقد كظم الملك العظيم ألمه وتأثره ؛ ولبت هذه الوثائق الهائلة التي تكشف عن عاره في خزانته السرية أعواماً طويلة حتى أمر بإحراقها بعد ذلك في مدفنه في يوم من أيام سنة ١٧٠٩ ، أعنى بعد هذه الحوادث بثلاثين عاما

كانت « الفرقة الساطعة » حاسمة صارمة في أحكامها ، فقد

وأرى قصر عروة العظيم ، قد سطعت في شرفاته الأنوار ،
وحف به الشمره والمنون ينتظرون نزله الجليل ، الشاعر الغزل
الفقيه المحدث عروة بن أذينة ، بأخذوا من شعره ، ويحفظوا
من حديثه ، فإذا طال بهم الانتظار ، وتصرم الليل ، ولم يفوزوا
بطائل ، ذهبوا إلى دورهم وقد أيسوا من لقائه تلك الليلة ، وأزمعوا
أن يياكروه من الند . وسكن العقيق وخلا إلا من عاشق أرق
« يباح طيف من يهوى ، ويخى عنده السوى » وخشع الليل ،
وأصت السكون ، فقام عروة على شرفة القصر ، فراقه سكون
الليل ، وفتته منظر العقيق ، فهاج في نفسه الشوق ، فاندفع ينشد :
إن التي زعمت فؤادك ملها خلقت هواك كما خلقت هوى لها
فبك التي زعمت بها وكلا كما يبدى لصاحبه المصيبة كلها
وبيت بين جوانحي حب لها لو كان تحت فراشها لأقلها
ولمرها لو كان حبك فوقها يوماً وقد فحيت اذن لأظلمها
يضاء باكرها التميم فصاغها بلياقسة فأذهبا وأجلها
لما عرشت مسلماً لي حاجة أرجو مغوتها وأخشي ذلها
منمت تحيتها فقلت لصاحبي ما كان أكثرها لنا وأقلها
فدنا فقال : لعلها معذورة من أجل رقيتها ، فقلت : لعلها
فلما كان الصباح ، غدا أبو السائب الخزومي على عبد الله ،
فقال له : أسمعت آيات عروة أمس ؟ قال : وآية آيات ؟ قال :
وهل يخفى القمر ؟ فوله :

إن التي زعمت فؤادك ملها . . .

فأنشده ليها ، فلما بلغ إلى قوله : لعلها ، قال أبو السائب :
أحسن والله ، هذا والله الدائم الممد ، الصادق المصيبة ،
لا الذي يقول :

إن كان أهلك بمنونك رغبة عني فأهلي بي أضن وأرغب
وإني لأرجو أن يغفر الله لصاحبك (يعني عروة) حسن
ظنه بها ، وطلبه المذر لها ، ثم يمرض عليه عبد الله طامعاً فيقول :
لا والله ما كنت لأكل بهذه الآيات طامعاً إلى الليل !

وينتظر عبد الله حتى إذا حان المساء ، وأثر الجوع في أبي
السائب ذهب إليه فقال له : « جئت أنشدك وأحدثك » فيقول :
« هات ما عندك » ، فيحدثه وينشده ، حتى ينشده بيتي المرجى :
بانا بأنتم لیسلة حتى بدا صبح تلوح كالأغر الأشقر
فتلازما عند الفراق حباية أخذ التريم بفضل ثوب المسر

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا ما دعا لله داع
والتي منها أشرق « البدر » على القلوب والنفوس ، فأبارها فهي
منه في نور إلى يوم القيامة !

وسرنا في هذه الطريق نحواً من كيلين اثنين فأنهينا إلى بئر
عروة ، التي حفرها الامام الزاهد العلم عروة بن الزبير ، فكانت
في قصره العظيم الذي اندثر ، ولم يبق له من أثر ، وهي أعذب
بئر في المدينة وأطيبها ، وكان ماؤها يحمل إلى الرشيد في قوارير
وهو مقيم في الرقة ؛ وإلى جانب البئر قهوة جديدة ، قامت
على جنوع النخل ، فجلسنا فيها على كراسي مستطيلة ، تتخذ في
مقامي الحجاز مجلساً وسريراً ، نطل على الوادي العظيم

والوادي غيب ، بين عدوتينيه أكثر من مائة متر ، وعلى
المدوة الأخرى جبال حمراء جميلة النظر ، وقد غفى الوادي واستأثر ،
والسبل دفاع يتعلم آذنه ، وتصلح أمواجه ، يرمى بالزبد ،
ويطوح بالفتاقيع ، ويجري متكسراً وله خرخره ، وله دردة ،
وعلى جانب الماء حصاة واسعة ، قد جلس فيها المديون حلقاً ،
يحفون : « سماورات » الشاي البراقة العالية ، ويضنون ويظربون ،
ما سمحت لهم « الحكومة » أن يشنوا ويظربوا ...

جلس إخوتائنا يتجادلون أطراف الحديث ، فيذكرون بلادهم
وأوطانهم ، ويحنون إلى القوطة النناء ، والعين الخضراء ،
والزبداني وبلردان ، وتلك الجنان ، وجلست أحدى في ماء
العقيق ، وأحن إلى أيامه الفر ، وماضيه الفخم ، وأفكر في حاضره
الممض ، وواديه القاحل ، فأطيل التحديق ، وأمضى في التفكير
حتى أذهل عن نفسي ، وأنسى مكاني ، فأرى صفحة الماء تضارب
وتهتز ، وتختلط فيها الأنوار ، وتخرج فيها الأضواء ، كأنها هي
سبيكة ذهب ، أو قطعة ياقوت ، ألقى عليها نور وهاج ، ثم أراها
قد استقرت وسكنت ، فإذا العقيق غير العقيق ، وإذا هو غارق
في العطر والنور ، وإذا من حوله المشرات من القصور ، نضى
كأنها الثريا في السماء ، فتتمكس أنوارها في الماء ، فتتواري
النجوم استحياء ، وتنص العين خجلاً ، ثم تستر ببرقع الغمام وتبكي ،
فيضحك العقيق لكاء السماء ، وتضحك الأرض لمضحك العقيق !

بحرام الله على ما أرجو من عافية . قالوا : نسقيك الرق . قال :
ما أحب أن أسلب عضو آمن أعضائي وأنا لأجد ألم ذلك فأحتسبه
قالوا : فما تصنع إذن ؟ فأخذ في التهليل والتكبير ، وقال :
شأنكم بها !

ودخل عليه قوم أنكرهم ، فقال : ما هؤلاء ؟ قالوا : يمكوك .
فان الألم ربما عذب معه الصبر ، وأنت شيخ كبير !

قال : أرجو أن أضيفكم ذلك من نفسي . فقطعت كعبه
بالسكين ، حتى إذا بلغ العظم وضع عليه المنشار فقطعت ،
وهو يهلل ويكبر ثم أغلى له الزيت في مغارف الحديد ،
فغمس به . فضنى عليه ثم أفاق وهو يحسح الدرق من وجهه ، فلما
رأى القدم بأيديهم ، دعاها فقلبها في يده ، ثم قال :

أما والذي حملني عليك ، إنه يعلم إنى ما مشيت بك إلى
حرام

وأسمهم يتحدثون كيف دخل ابنه محمد — وهو فقي المدينة
جلاً وكلاً ، وأدياً ونسباً — كيف دخل اصطبل الوليد فرمحه
دابة فقتلته ، وما يعلم عمرو بشيء من ذلك ، وكان عمرو رجلاً
صالحاً قد عاف الدنيا ، وانصرف عنها ، ولم يرد منها إلا زاداً
يقطع عليه الطريق إلى الجنة :

ذكر المُتَنَبِّي أن السجد الحرام جمع مرة بين عبد الملك
ابن مروان وعمرو وأخويه عبد الله ومُصَعب ، على عهد معاوية
ابن أبي سفيان فقال بعضهم لبعض : هلم فلنمن
فقال عبد الله : مُنَبِّئِي أن أملك الحرمين ، وأقال الخلافة
وقال مصعب : منبئِي أن أملك العراقين ، وأجمع بين عتيق
قريش : سكين بنت الحسين ، وعائشة بنت طلحة

وقال عبد الملك : منبئِي أن أملك أرض كلهما —
وأخلف معاوية

فقال عمرو : لست في شيء مما أنتم فيه ، منبئِي الزهد في
الدنيا ، والفوز بالجنة — بالآخرة ، وأن أكون ممن يروى عنه
هذا العلم

فصرف الدهر من صرفه — إلى أن بلغ كل واحد منهم
إلى أمله — فكان عبد الملك يقول : من سره أن ينظر إلى رجل
من أهل الجنة ، فلينظر إلى عمرو ؟

(البقية في العدد القادم) على الظنطاري

فيقول أبو السائب : أعدته علي ، فيبيده أبو مصعب ،
فيستغفر المخزومي الطرب فيحلف بالطلاق لا ينطق بحرف غيره
حتى يرجع إلى بيته !

وعمرُهما عبد الله بن حسن بن حسن وهو منصرف من
مال له يريد المدينة فيسلم عليه ويقول : كيف أسيت أبا السائب ؟
فيقول :

فتلازما عند الفراق صباية أخذ الغريم بفضل نوب المسر
فيقول ابن حسن : مالك يا أبا السائب ، إنى لا أكاد أفهم عنك
فيقول :

فتلازما عند الفراق صباية أخذ الغريم بفضل نوب المسر
فيقبل عبد الله بن حسن على عبد الله ، فيقول : متى أنكرت
صاحبك ؟ فيقول : منذ الليلة ، فيقول : إن الله ! أى كهل
أصببت به قريش ! ثم غضى

وعمرُهما عمران بن محمد التميمي قاضي المدينة يزيد مالاً له
على بطة له ومعه غلام على عنقه مخلاة فيها قيد البطة ، فيسلم
ويقول : كيف أنت يا أبا السائب ؟
فيقول :

فتلازما عند الفراق صباية أخذ الغريم بفضل نوب المسر
فيقول القاضي لعبد الله : متى أنكرت صاحبك ؟ فيقول :
آنفاً ، فيمترجع القاضي ويهم بالفضي ، فيمكر عبد الله بصاحبه
ويقول : أفتدعه هكذا أيها القاضي وتغضى ؟ والله ما آمن
أن يتدهور في بعض آبار المقيت ، قال القاضي : صدقت ، يا غلام !
قيد البطة ، فيضع القيد في رجله وهو يشير بيده ويصيح :

فتلازما عند الفراق صباية أخذ الغريم بفضل نوب المسر !

ثم يضطرب الماء ويموج ، فتطمس الصورة فلا أرى في
الماء إلا أشباحاً مبهمة ، مبهمة متداخلة ، ثم تبين وتضيح ، فإذا
أنا أرى قصر عمرو ، وقد هي وفرش ، ودارت به الخدم والعبيد ،
واجتمع من حوله السراة والأعيان ، وهم يتحدثون تبدو عليهم
أمارات المال والعلو ، فل الذي ينتظر شيئاً ويطل على ، وأدنو
منهم فأفهم من حديثهم أن القادم صاحب القصر عمرو بن
الزبير ، أحد الفقهاء السبعة ، وقد كان في دمشق فأصابته الأكلة
في رجله ، فأراد الأطباء على قطعها وإلا سرى الداء فأفسد عليه
جسده ، وقيل له نسقيك الحمر حتى لا تجد أماً ! فقال : لا أستمين

٧ - النهضة التركية الأخيرة

للدكتور عبد الوهاب عزام

تمت

من رجال الدين - قالوا : فاحرج من الجامعة إن لم يكن لك بد من عمامتك - فخرج منها وخلفه فيها معلم ألماني ، فكان يأخذ عنه علم العربية ويعلم الطلبة ، وكفى الله الطلبة عمالة الشيخ وعلمها ، وأسعدهم بقعة الألمان وبركتها

وقد جاءت الأنباء بأن الإيرانيين حذوا حذو الترك في لبس القبعة ، ولم يقنعوا بالبهلوية « التي ابتدعوها » فبنيت لهم تقليد القلدين
فلو كان عبد الله مولى هجوتسه ولكن عبد الله مولى مواليا وأنجب من هذا وأشام صبيحة صحتها من العراق تدعو إلى الاقتداء بالفرس والترك فيما صنعوا . وهي دعوة إلى هذا التقليد الأشام الذي يبدأ في ناحية فيسرى سرعان العلة في جميع النواحي ؛ إذا ضل العرب في الضالين ، وتهاوتوا مع التهاوتين ، فبأي وزر تتمتع الحضارة الإسلامية ، وبأي ملاذ يلوذ التاريخ الإسلامي ؟ وكيف تثبت الأمم الإسلامية في هذه الزعازع إذا مال العرب وهم المباد ، ودُّولوا وهم الأوتاد ؟ كيف وهم الحلماء إذا طاشت الأحلام ، والراسخون إذا زالت الأقدام ؟

ما أحسب المرافقين يستجيبون هذه الدعوة ، فيستولوا للعرب أقبح سئة ، أو يستبدوا دونهم برأى ، وهم الدعاة إلى الأخوة العربية ، الغلاة في الحاسة القومية ؛ الأمر ، كما قلت ، حين إذا أدت إليه الروية والاختبار ، فليجتمع وفود العرب أو وفود المسلمين كافة في مؤتمر عربي أو إسلامي ، ولينظروا فيما يلائم كل إقليم من الأزياء ، وما يوافق المدنية الحاضرة من ألبسة ، ثم ليختاروا على بيعة . وليكن ما يختارونه موافقاً لأزياء أوروبا أو الشرق ، أو مخالفاً لكل أزياء العالم ، فلا حرج في هذا ولا بأس به

لقد لبس العراقيون منذ سنين عمارة سموها الفيضانية جئت عزاي القبعة الأوربية والمقال العربي ، يسهل خلعها ووضعها ، وتحصى الرأس والرقبة والوجه عند الحاجة ، وهج الشمس ولقع المعجير ، وتفرغ على رأس العربي جمالاً وجلالاً ، وتتوجه بمجد الماضي والحاضر . فلماذا لا يدعى إلى تعميمها ، ويحتج لها بمزاياها ؟ لأنها اختراع لم تلده قرايح الأوربيين ، ولباس لم تفره سنهم ؟ إن لم يكن بد من شهادة أوربية فسولوا أهل أوروبا المثلين بأحوال بلادكم فسيقولون إنها خير لكم من القبعة ، وأجدي

بقيت هذات مما افترى الكاليون لا أبني إحصاءها ، بل أكتفى بواحدة منها هي : لبس القبعة . والأمر في نفسه هين . ولكل أمة أن تتخذ من اللباس ما يلائم هواها ، ويواقي حاجاتها ، وإن الله لا ينظر إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم ؛ ولكن الكاليين اتخذوا القبعة عمارة لهم سيراً على خطتهم في تقليد الأوربيين واتعماً لسنهم في عماكتهم ، وإمعاناً في هجر ما عيَّزهم منهم فيحرمهم شرف الفناء فيهم . ولو أن القوم فكروا ثم فكروا فأروا أن لا مناص لهم من لبس القبعة ضرورة بقضيتها الإيمان والكان لا بدعة عليها التقليد لكان لهم في العقل مسأغ ، وفي العذر متسع ، ولكن عليهم مع هذا أن ينهضوا الأمة بالدليل ، ويجادلوها بالحسنى ، حتى ترى أن القبعة لباس اختاروه لأنفسهم ، لا ذلة ضربت على رؤوسهم ، فقد عاشت الأمة التركية أحقاباً ترى هذه القبعة شعار مخالي دينها ، ولباس أعيانها تاريخها . فلما أكره التركي في ثورة التقليد أن يضمها على رأسه أحسها ذلة طاماً لها الرأس الأبي ، وطاراً ذلت له النفس الكريهة . وحاولت ردوس أن تنبذها فقطعت ، وأرادت نفوس أن تستهجنها فقتلت . وإنك لتبصر رأس التركي الأسنيد ، وكأنه حمل من الذل ملء الأرض والتاريخ ، وسيم من الخسف ما تنوء به عزته وعزرة آباءه . وليس هيناً على أمة أن تسام هذه الخلطة ، وتحمل على هذا العنت . وإن يكن بعض الترك لبس القبعة عزراً ونفاراً ، فقد لبسها معظمهم خزيًا وشناراً ، تنطق بذلك أساريهم ونبين عنه عيونهم ؛ ولو أن القوم ، إذ رأوا رأيهم ، أخذوا به النفس الصغار ، وخيروا فيه الكبار ، لكان الأمر بعض الموان . تصور الشيخ ابن السمين أو المهيم ابن التسمين قد شابته لحيته في الاسلام ، ونبئت نفسه وترعرعت ثم ذبلت في كره القبعة ، يُكره على أن يختم حياته بها ، ويتزوج شبيته بسوادها . وانظر ذلك الشيخ الجليل الذي كان يدرس العربية في جامعة استانبول فقيل له : لبس القبعة وانزع العمامة . قال : أء وفي وعدوني

المدنية الأمريكية

كما يصنفها أندريه مورو

للأستاذ محمد روجي فيصل

أندريه مورو كاتب برنسي معاصر ، وروائي واسع
السمعة ؛ وهو الآن في الخمسين من عمره ، يكتب كثيراً ويصل
كثيراً ، ولعله « الحركة الدائمة » التي يشدها علماء الطبيعة ،
والقريب أن انتاج مورو على كثرة خصب عميق ، فيه ملاحظات
نفسية قيمة ، وفيه وصف بارع لطرف ، وفيه حلوة قل
أن تجدوها عند غيره من الكتاب والروائيين
قام بباحة إلى أمريكا منذ حين ، زار في خلالها مدن
للشواطئ الشرقية ، ورأى آثارها ، وحاضر في جامعاتها ، وفيها
في مظهرين حقيقة المدنية الأمريكية ومظاهرها الصاعدة ، ثم
عاد إلى وطنه وألقى محاضرة قيمة طويلة تقتطف منها ما يلي :

« وصلت باخترنا إلى نيويورك في الصباح الباكر فراعنتني
المدنية المنظمة الناعمة ، وطني على شعور غريب جميل . والحق
أن مرفأ نيويورك منظر لا أعرف أبهج منه ولا أروع ولا آخذ
بلب الرأي للمعنى ، بقيت على الماء نسير خسة أيام ثم طلعت علينا
نيويورك بوجهها الضخم وهيكلها المريض كما يطلع الجبل الشاهق
على المسافر العاني بعد طول السير وطى الأميال . وجئنا في
الشوارع نسير على غير هدى ، فإذا المباني ضخمة بالغة الضخامة ،
متينة بالغة المتانة ، تشق الفضاء طولاً وعرضاً واتساعاً . ونلاحظ
أن الضخامة مظهر من مظاهر الجمال ، وأعني أن جمال الشيء
إنما يرجع أحياناً إلى ضخامته الناشئة : أرأيت إلى أهرام مصر
أو قصر (بيتي) كيف أن علوها خلج عليهما جمالاً خاصاً على
جمال الفن والهندسة »

« والأمريكيون شعب يعمل في جتون ، فلا يرجع جسده ولا
يرجع عقله ، وإنما يجهدهما في التجارة والصناعة والاختراع ؛ وهذه
الظاهرة هي أقوى ما يلمح العابر السائح من الصور . ويل
للمحاضر في أمريكا ! إنه يخضع للحركة الأمريكية الطاغية ، ففي
الصباح يلقى محاضرة ، وعند الظهر رأس حافلة خطافية ، ثم يحاضر
في نادي النساء ، وفي الساعة الخامسة يقول كلمة في جامعة كولومبيا
أو الاتحاد الفرنسي ؛ وأني رجل يجد برناجاً طويلاً أمريكياً ينتدى
من الصباح وينتهي في منتصف الليل ! »

عليكم منها . ليت شعري إلام ندعو إلى اليقظة فتنامون ، وإلى
الحذر فتستسلمون ، وإلى العزّة فتهمنون ، وإلى الاستقلال
فتتبعون ، وإلى الاجتهاد فتقلدون ؟

كفى يا قوم بالزمان واعظاً ، وبالتجارب هادياً . إنكم في
مهب المواسف ، ومفترق الطرق ، تغذوا حذركم ، ونهوا عقولكم
واشحنوا عزائمكم ، ولا تصدروا إلا عن بينة ، ولا تقولوا إلا
عن روية ، فانه الحياة أو الموت ، والبقاء أو الفناء

الخاتمة

رأى القراء بما قدمت أن الترك السكاليين لم يأتوا بمجديدي
هذه « النهضة التركية الأخيرة » ولكنهم ساروا على سنن أوروبا
فأحسنوا وأساءوا . أحسنوا بما أخذوا بأصباغ الحياة فاجتهدوا
في تسمير بلادهم وإسعاد أهلها ، ونوسلوا لمارك الحياة بمددها فهدروا
الجيش واستكثروا من السلاح وجملوا أنفسهم سادة بلادهم .
وأساءوا بما تبعوا أهل أوروبا في أمور هي من ثغابات الحضارة ،
وحثالات المدنية ، وبما هجروا من أجل ذلك كثيراً من سنن
دينهم القويم ، وأخلاقهم السكرية ، وتاريخهم المجيد . وأذكر
في هذه الخاتمة ما قاله في أوروبا بعض أولى الرأي منذ سنين : قال :
« كان السكاليين بما يفعلون اليوم يقولون يا أهل أوروبا : منذرة ،
لا تؤاخذونا بما فعل آبؤنا فقد حاربكم جهنم ، وجالدكم ما
استطاعوا ، ودافعواكم جهنم طائفتهم ، وما كانوا ينشرون حضارة أو
يدافعون عن حضارة . وما نحن أولاء نعترف بأن الخير في
أنيابكم ، والشر في مخالفتكم ، وإن آباءنا انحوا إذ منعوا عنا خيركم ،
فأقبلوا الأبناء في جماعتكم ، ولا تأخذوهم بذنب آباءهم . ها نحن
أولاء نحني رؤوسنا إكباراً لكم ، ونلوم أجدادنا من أجلكم . »
وبعد . فهذه الكلمات التي كتبها لا تنفي هذا الموضوع العظيم ،
ولا بد أن يتعاون الكتاب والمفكرون في هذه السبيل حتى يجلوا
عن الأمة هذه التهمة ، ويدفعوا عنها هذه الفتن المدلّمة ، والشبهة
الضلة ، ثم يسيروا بها على المحجة البيضاء إلى الناية الجيدة . فإنا
نحن في فن لا نغتر فيها لمصر ولا حجة فيها لنهاون
وما أردت بما كتبت إلا وجه الله ، والله هو الحق المبين .
وهو حبيبنا ونعم الركيل « إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت ،
وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب . »

عبد الوهاب عزام

إلى نفسه يطالع فيها ويتأمل جوانبها على نحو ما يفعل الآسيوي الحالم ، وإنما هو يطالع في الآلة والصنع والأرض ، ثم يحاول أن يجد السعادة فيما يحيط به من الدنيا الواقعة المحسوسة

وعندي أن الحياتين على نفعهما لاتصلحان للبشرية ، فالتطرف مذهب لا أحبه لنفسى ولا أرضاء لجنسى ، وإنما أرجو حياة وسطاً بين الحياتين ، قوامها الحس والتفكير ، ومادتها الدنيا والنفس ، وغايتها التقدم والرح والانتاج . ولعل الحياة الأوربية هي الحياة التي تجمع خصائص الحياتين المتطرفتين : الآسيوية والأمريكية ..

وهنا قد يستطيع الفرنسيون أن يوفقوا بين هذه وتلك ، وينشروا الاعتدال ؛ فالدنية الفرنسية مدنية قديمة ذات أدب خصب صحيح ، لها أنصار كثيرون ، ولها ماض جليل حافل ، ولها صناعة قوية جميلة . وإنما المهم أن يعرف الفرنسيون أى سبيل يسلكون لذيوع الثقافة الفرنسية وتأثيرها في العقول . ولقد ينبى قبل كل شيء أن نفتح أعيننا جيداً حين نطوف البلاد ونجول الأرجاء ، ثم نرسل العقل حراً في البحث والتفكير ، والمطالعة والاستنتاج «
نهر روى فيصل

« إن العقلية الأمريكية تتطلع إلى عرفان كل شيء ، وتولع بالجديد الغريب ؛ وهي عقلية فتية تؤمن سريعاً وتكفر كثيراً ؛ وأنت لابد ناجح في أمريكا إن كنت روائياً طريفاً مادام فلسفاً . والكاتب الناشئ يبدو معروفاً في أقل من شهرين ، تقام له الحفلات الرائعة ، وتحدث إليه الصحف ، وتطبع مؤلفاته مزاراً ثم ... ثم يموت في أذهان الجمهور ، وينحدر إلى الخمول والنسيان ، كأنما هي شهرة خاطفة تمنع بها قليلاً وحلم فيها كثيراً ثم عاد إلى الواقع المجهول يتفياً ظلال الذكرى وبقايا المجد »

« والشخصية الفردية لا أثر لها في أمريكا على الإطلاق ، والسعادة الروحية لم يتمتع بها الأمريكي بعد لذاته ؛ دائماً (خدمة الجمهور) هو المذهب السائد الذي يؤمن به الأمريكيون كافة ، وهو مذهب ، على قيمته ، خطر كل الخطر ، مفسد للشخصية والنبوغ ، لأن المرء الذي لا يبالى بوجوده الفردى بعد آلة تعمل من غير شعور ولا تطور . والواقع أن المصانع قامت مقام اليد العاملة ، والآلة طغت على الفن ، « والكثرة » هي المقياس الذي توزن به قيم الأعمال ونتائج الأشياء »

« وهذه المساوى التي نذكرها ويذكرها غيرنا ليست مساوى النفسية الأمريكية ، وإنما هي مساوى الدنية الغربية الحاضرة . ولئن مات الفن اليدوى في أمريكا وعاشت الآلة قائماً يموت الفن وتحيا الآلة في فرنسا وأнгلترا وألمانيا وإيطاليا ؛ ونستطيع أن نستثنى مهنة النقوش والخياطة والنسيفساء التي يارسها القليل من الخلائق البشرية ؛ أما عامة الشعب فمحشود في المصانع يعمل مجتمعا من غير تفكير في الذات ؛ والأدب الأمريكي أدب الصناعة حقاً ، بصور ميكانيكية للعمل وسرعة الحياة واضطراب المجتمع ؛ أما أزمات النفس ، وثوران العواطف ، وانفعالات الأهواء ، فهي غريبة نكرة في الأدب الأمريكي الحديث

الواقع أن الحياة الحاضرة حياتان : حياة آسيوية أخروية متشاعة ساخطة ، نظرت إلى الدنيا من خلال منظار أسود كئيب ، فرأت جوعاً وفقراً ومرماً وظلماً ، فكرهت المجتمع الحافل ، وانفكفت على التصوف وأحبت الأحلام ، ثم قالت : إنما الدنيا متاع القروا . وحياة أمريكية دنيوية صناعية لا تبال بالباطن المجيب ، ولا تمنى إلا بالأرض ؛ فالأمريكي قل أن يلتفت



فرقة الخوارج

بقلم فريد مصطفى عز الدين

فرقة الخوارج من تلك الفرق الهدامة التي نشأت في مختلف مراحل التاريخ الاسلامي ، وكانت حرباً على الدولة الاسلامية ، وعقبة كآداء في طريق عزها وازدهارها . أما الدوامل التي أدت إلى ظهور الخوارج فكانت في بادئ الأمر سياسية ثم ما لبثت ميولهم أن اتجهت إلى الناحية الدينية فأخذوا يحوكون حولها مستفدائهم ونظرياتهم

نسيمهم

لا نجد في التاريخ الاسلامي كله فرقة تمددت أسماؤها كهذه الفرقة ، غير أن اسم الخوارج قد غلب عليها . وقد سموا بالخوارج لخروجهم على الامام علي بن أبي طالب في معركة صفين سنة ٣٧ هجرية لقبوله التحكيم وقولهم : لا حكم إلا لله ، لا حكم للرجال . ويقول بعض المؤرخين إنهم دعوا بالخوارج لخروجهم بعد ظهور نتيجة التحكيم في رمضان سنة ٣٧ هجرية من الكوفة إلى النهروان . ثم تطور هذا الاسم فأصبح يطلق على كل جماعة خرجت على القانون والسلطة الحاكمة سواء في صدر الاسلام أو زمن التابعين

أما الخوارج أنفسهم فيقولون إنهم تمسوا بهذا الاسم لخروجهم من بيوتهم طلباً للجهاد والاستشهاد في سبيل إعلاء كلمة الله والدين الحنيف ، ويستندون في ذلك على قول الله تعالى : « وإذا كنت فيهم فأقت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا أسلحتهم فإذا سجدوا فليكونوا من وراءكم ، ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا فليجأوا معكم ، وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم ، وَاذ الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلاً واحدة ، ولا جناح عليكم إن كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى أن تضعوا أسلحتكم وخذوا حذرکم إن الله أعَدَّ للكافرين عذاباً مهيناً »

وهناك اسم آخر يطلق على هذه الفرقة وهو اسم الشراة ،

ويقال إن الخوارج يفضلونه على الاسم الغالب عليهم ، لأن هذه التسمية تعني أنهم اشتروا الجنة بالدنيا واستبدلوا الباقية بالفانية استناداً على الآية الكريمة : « إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويُقتلون وعداً عليه حقاً في التوراة والإنجيل والقرآن ، ومن أوفى بهذا من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم » ودعيت هذه الفرقة أيضاً فرقة المحكمة ، وذلك لأنها حكمت الله تعالى ورفضت تحكيم البيعة . ويميز المؤرخون الفرقة الأولى من الخوارج التي انشقت على علي بن أبي طالب في صفين عن الخوارج بدعوتها الفرقة المحكمة الأولى أو الخارورية نسبة إلى حاروراء بقرب الكوفة ، وهي المكان الذي خرجوا إليه ، ويدعون بقية الخوارج فرقة المحكمة

نماذجهم

من الصعب أن نعين العلاقة بين ظهور الخوارج ومسألة التحكيم ، فنقول إن هذه نتيجة لثلاث وإنه لولا مسألة التحكيم لما اعتزى جيش الامام علي ذلك الانقسام ولما نشأت فرقة الخوارج ؛ وقد عني البعض يبحث هذه النقطة فتبين لهم بعد دراسة عميقة أن نشوء الخوارج ومسألة التحكيم مستقلتان عن بعضهما استقلالاً تاماً . ويستند المستشرقون لامانس وكابتاني وولهاوسن أن فرقة الخوارج ظهرت قبل التحكيم مما يدل على صحة الرأي القائل باستقلال المائلين ببعضها من بعض . ولكن المستشرق ديلافيدا يخالف رأي لامانس ورفيقه ، ويقول إن الخوارج ظهوروا بعد التحكيم

مركز صفين

تولى علي بن أبي طالب الخلافة والعالم الاسلامي في غليان شديد من جراء مقتل الخليفة عثمان بن عفان وعواقب هذه الجريمة ، فلم تكن مبايعته بالاجماع كأسلافه . وكانت عدوه الأكبر معاوية بن أبي سفيان وإلى الشام الذي خرج طالباً للثأر من قاتلي قريبه الخليفة المنصور . فلما انتهى على من أمر طليحة ابن عبد الله والزبير بن العوام في موقعة الجمل بالقرب من البصرة سار طالباً معاوية فالتقى الجيشان في سهل صفين وهو مكان قريب من بلدة الرقة في شمالي شرقي الشام

سنة ٦٥٨ ميلادية ، وتغلب عليهم ، غير انه دفع عن هذا النصر غالباً ، لأن هذه المعركة أضمت جيشه فأصبح عاجزاً عن السير إلى سورية لحرب معاوية ، وبقي بالكوفة إلى أن قتله ابن ملجم الخارجي سنة ٦٦١

الخوارج في عهد الدولة الأموية

اشتدت في عهد الدولة الأموية قوة الخوارج ، وكانوا من العوامل الرئيسية التي طاحت بحكم الأمويين ، فقام خليفة أموي إلا ثاروا عليه ، غير أنهم ظهروا واشتهروا خصوصاً في زمن الخليفة عبد الملك بن مروان ، وكانت ميادين القتال العراق وخراسان . وقد بدأ بقتال الخوارج مصعب بن الزبير - شقيق عبد الله بن الزبير منافس عبد الملك بن مروان في الخلافة - وكان قائده المهلب بن أبي صفرة . ولما نظمت قوات عبد الملك على الزبيريين وقتل مصعب كان لا يزال المهلب يحارب الخوارج فبايع عبد الملك بالخلافة حالما بلغه نبأ مصعب ونابغ قتاله .

ثم أرسل عبد الملك في سنة ٧٥ هجرية الحجاج بن يوسف الثقفي والياً على العراق فتمكن بشدة بأسه من خضد شوكة الخوارج . وقد امتازت فرقة الأزارقة أتباع نافع بن الأزرق من فرق الخوارج ببساتها وشدها واستأنتها في ميادين القتال والنزال

الخوارج في عهد الدولة العباسية

ضمت أمر الخوارج في عهد الدولة العباسية ولم تعد فرقهم خطراً على الدولة الإسلامية كما كانت نشأته في العصر الأموي ، غير أنهم لم يندموا أوقاناً قاموا فيها ببعض الثورات والفتن . وقد اشتهرت من بين فرقهم في هذا العهد فرقة الإباضية أتباع عبد الله بن أباض التي ظهرت في عمان وعلى الخليج الفارسي وفي أفريقيا الشمالية أي تونس الخضراء والجزائر والمغرب الأقصى ولما غلب الخوارج على أمرهم في الناحية السياسية أخذوا ينصرفون إلى الناحية الدينية ويحكون حولها نظراتهم ومعتقداتهم الدينية

نعلب الخوارج ردتهم في المصنعات الدينية

عرفت فرق الخوارج واشتهرت بتصلبها الديني الشديد وتمسكها بالمعتقدات الدينية التي تدب بها ، ولذا كانت كل جماعة منهم ترى أن زعيمها بدأ يتصرف عن المبادئ التي تنترف بها

وفي أول صفر من سنة ٣٧ هجرية ، ابتدأ القتال بين الفريقين فرجحت كفة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، تغاف معاوية الماقبة ، وعهد إلى الحيلة يساعده على إيقاعها الداهية الأكبر عمرو ابن الماص . وبينما كانت الحرب مستمرة إذا بجنود الشام يرفعون المصاحف فجاء على أسنة الرماح طلباً للتحكيم . فلم يؤخذ على بهذه الحيلة ، وقرر الاستمرار في القتال إلى أن يقضى الله أمراً كان مفعولاً . ولكن فريقاً كبيراً من جند علي قبل التحكيم وحمل زعيمه على قبوله رغماً عنه . وبعد أن رضى الامام بالتحكيم قام فريق آخر من جنده يندد بالتحكيم ، ويصبح : لا حكم إلا لله ، لا حكم للرجال ، ويظهر أنه كان بين هذا الفريق بعض من أتباع الفريق الأول . فانقسم بذلك جيش علي إلى شطرين ، ونجحت الحيلة التي قال فيها عمرو « إن قبل خصومنا التحكيم اختلفوا ، وإن ردوه افرقوا »

ولما ظهرت نتيجة التحكيم التي تقضي بخلع علي عن الخلافة - ولا أقول معاوية ، لأن اقرار عمرو بن الماص بخلع صاحبه لم يؤثر في مركز معاوية لأن خلفه كان وهماً ، إذ أن معاوية لم يكن خليفة ليخلع عن عرشها - رفض على قبولها ، وهكذا أضمت نتيجة التحكيم مراكز على وقوت مراكز معاوية

فقويت برفض على لنتيجة التحكيم حجة الفريق الفائل بعدم قبول التحكيم منذ البدء الأمر ، واكتسب إلى صفه جميع الوتودين من سياسة الامام . وهكذا نرى أن فريق الخوارج كان مؤلفاً من جماعات متفككة العرى تجمعها مناواة سياسية على ، إما لأنه لم يقبل التحكيم أولاً أو لأنه قبل التحكيم ثانياً ، أو لأنه رفض قبول نتيجته ثالثاً . والقسم الأكبر من الخوارج هم الذين أخذوا على غير قبوله التحكيم صارخين : لا حكم إلا لله . ثم انضم إلى هذه الفرق المختلفة كل من كان ناقماً على السلطة أو خارجاً على القانون ، حتى أصبح معسكر الخوارج ملجأ لهؤلاء ، أيام الراشدين والأمويين والعباسيين

وبعد انشقاقهم على جيش الخليفة ساروا إلى حار وراء وانتخبوا عبد الله بن وهب الراسبي خليفة عليهم . وقد اضطر على أن يحمل عليهم قبل أن يسير لقتال معاوية ليأمن شرهم ، فقاتلهم في معركة عظيمة قضي معركة النهراوان في ٨ يوليو

ويتذهب الأزارقة - ومنهم أشد مذاهب الخوارج تصباً - إلى أن مخالفهم شركون ، ودرجة الاشرار عندهم أشد وأدنى من درجة الكفر ، فهم يستبيحون قتل مخالفهم مع نسائهم وأولادهم

ومن الغريب أن هذه الفرقة التمسبة لذهبها ، الصلبة في معتقداتها ، القاسية على إخوانها من المسلمين متسامحة مع اليهود والنصارى وغيرهم من النسيين . والبعض من الأزارقة يعتبر غير المسلم مؤمناً إذا اعترف برسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى العالمين . ويظهر تسامحهم نحو غير العرب في أنهم يميزون خلافة كل مسلم سواء أكان خبيثاً أم عبداً زنجياً

ويتردد بعض الخوارج في قبول سورة يوسف عليه السلام في القرآن الكريم لاعتقادهم أنها سورة غرامية ، فلا يمكن أن يحويها كتاب الله . والبعض الآخر يتردد في قبول سورة أبي لوب

أما في الفقه فهم لا يعترفون من أسوله الأربعة إلا بالقرآن الكريم والسنة الشريفة واجماعهم فقط لأجاء الأمة الإسلامية . أما القياس فنلا يعترفون به ولا يقبلونه ركناً واجباً للشرعية الإسلامية السمحاء التي سماها الله جل جلاله للمسلمين نبراساً ومعاوناً . أما التفسير فهم لا يقيدون أنفسهم به ولا يؤولون

ويظهر تصليهم الديني بوضوح في فروض الصلاة ، إذ لا يكتفي في نظرهم أن يكون الجسم عند الصلاة طاهراً ، بل يجب أن يكون الفكر كذلك ، لاعتقادهم أن الفكر الموء يطل الصلاة كما أن الجسم الموء يطلها . ونظراً لتصلبهم الشديد في معتقداتهم السياسية والدينية وقام بعض المؤرخين الغربيين The Partians of Islam

فلسفة الخوارج وأبرزهم

ويمثل الخوارج في إحدى فرقهم حركة فكرية لا يستهان بها جعلت المستشرق الكبير ديلافيدا يجزم بأنه يجب أن يكون من جراء ذلك علاقة وثيقة بين المعتزلة والخوارج . وتنعصر أهميتهم من الناحية الفلسفية في إثارهم مسألة الايمان والعمل وكان مجرد تطرف معتقداتهم يجذب إليهم أحياناً البعض من العلماء والأدباء والشعراء الذين تصهروهم البادئ المنطرفة

انشقت عنه وعن أفراد فرقها وكوفت لها فرقة خاصة ، وهذا هو السبب في تعدد فرق الخوارج وتسميها : ومن هذه الفرق الفرقة الاباضية والفرقة الصفارية والأزارقة والمجاردة والتجيدات وغيرها . وكانت كل فرقة تنقسم إلى فرق صغيرة عديدة ، وقد ذكر الشهرستاني في كتابه « الملل والنحل » نحائ فرق من الأزارقة . ولا ريب أن اقسام الخوارج إلى فرق متعددة كان علماً قوياً في اضاف شأهم وزوال هيئتهم

معتقدات الخوارج الباسية

قلنا في صدر هذا المقال إن حركة الخوارج بدأت حركة سياسية ثم تحولت بعض الوقت إلى حركة دينية . ولذا فإن معتقداتهم تدور على وجهين سياسي وديني . فأما معتقداتهم السياسية فتدور حول مسألة الخلافة ، ولهم في هذه المسألة مواقف أساسية يخالفون بها السنة والشيعة . فهم مثلاً لا يقيدون جنسية الخليفة ولا يمانون في أن يكون حتى زنجياً ، بينما أن النسيين لا يميزون سوى انتخاب قرشي للخلافة . أما الشيعة فيذهبون إلى أبعد من ذلك ولا يعترفون إلا بالخليفة الذي هو من آل البيت ولا يرى الخوارج أن من الضروري وجود خليفة على رأس الأمة إذا انتظمت أمور الرعية ، بينما أن الشيعة يقولون بوجوب بقاء الامام في كل عصر ودهر . أما النسيون فليس عندهم اجماع عام على هذه المسائل

وليس الخليفة موصوماً عن الخطأ كما هو الحال عند الشيعة ، فهم يجوزون القيام عليه حتى قتله إذا بدا منه اعوجاج أو عدل عن الصراط المستقيم الذي يتجسم على الخلفاء أن يتبعوه . وهم لا يعترفون من الخلفاء الراشدين إلا بالشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، ولا يعترفون بالخلفاء الأمويين والمباسيين وأصحاب موقعة الجمل أي طلحة بن عبيد الله والزبير بن الموام

معتقدات الخوارج الدنيوية

أشرت آنفاً إلى التصالب الديني الشديد الذي اشتهر به الخوارج ، فهم يطلبون من المؤمن أن يقرن إيمانه بالعمل الحسن إذا أراد الثواب ، لأن الايمان وحده غير كاف لدخول جنة الفردوس . ويكفر الخوارج صاحب الكبيرة ، فهم بذلك على عكس فرقة المرجئة التي ترجي تكفير المؤمن إلى يوم القيامة .

وحوائل ، حتى يصبح جهادها عتيقاً حاراً يهون إلى جانبه جهاد
الغزو على ما فيه من سفك للدماء

ولا جدال في أن صاحب السلطان والأمر ومن اضطلع
بتدبير شؤون الرعية والقيام على حقوقها ، والدود عنها ياتي عناء
ومشقة وعسراً ، يتضاءل أمامها ما يلقاه أوزاع الناس وعامتهم
من ليس عليهم من الأمر إلا أن يسخروا أبدانهم لتبيل غرض
أو بلوغ مقصد

أدرك رسول الله أنه وقد خرج من ميدان الغزو ونفض
عن نفسه وعن أصحابه نفع الحرب ، سيليقي ميدان جهاد أوسع
وأرحب وأكثراً عناءً وأشدّ بلاءً ، أليس عليه بعد هذا الغزو
من أعباء الدنيا والدين ، ما لا يقوم به إلا أولو الزم الثمين ؟
أليس عليه أن يقر هذا النصر الذي أحرز ، ويرجع الأمور
إلى نصابها في السلم بعد أن تَبَتَّ بها مواضعها في الحرب ؟
أليس عليه أن يواصل السير في تبليغ الرسالة التي أوتئمن
عليها ، وأن يسوس بالعدل والرحمة الأمة التي بحث إليها ، وأن
يثبت بين الناس شرعة قد نشر لواءها ، ويسلك بهم ودياناً قد
مسح عنها ما ؟

أليس عليه أن يؤدي لله شكرًا على هذا النصر والتأييد ؟
وأداء هذا الشكر لا تعرفه إلا هذه النفس العظيمة التي لا ترضى
فيه بما دون الغاية ، ولا تنتهي فيه إلى نهاية ؟
أليس في ذلك من المناء والجهد ما يهون بجانبه عناء
الحرب وجهادها ؟

وأهون ما يهون به عناء الحرب وجهادها أن رسول الله
المؤيد بروح الله ، ليس عليه إلا أن يستنفر الناس فيسوقوا إليه
زمرًا تخضع لأمره ، وتنضوي تحت لوائه ؛ وأما جهاد السلم الذي
ألمنا ببعض نواحيه إلماً فكأنه عليه وحده ، يضطلع بالأمر
فيه ، ويحيط بأسراره وخوافيه ، وهو في هذا الجهاد أعزل
أكشف لا عدة له إلا نفس عظيمة في صدره ، ووعد من
الله بنصره .

وسوق الناس إلى الحرب ليس بالأمر الشاق المسير : فصاعة
الحرب تسبقها أحداث وخطوب وإحن وحفاظ : تستمض
الحزم ، وتستنفر النفوس ، وتستثير المزائم ، فما هو إلا أن

حديث

بقلم الأديب أحمد الطاهر

نفض يديه الشريفتين من غبار الحرب وجلس إلى أصحابه
وقال : « رجعتنا من الجهاد الأصفر إلى الجهاد الأكبر . » قول على
سهولة وضحه ، وبساطة لفظه ، يدل على فهم وثيق للحياة ، وإدراك
عميق لأسرارها ، ووزن صحيح لحقيقتها . وهو يدل من ناحية على
عظمة هذه النفس النبوية التي وازنت بين جهاد الغزو ، وكفاح
الحرب ، وفي ذلك ما فيه من كرب وبلاء . وبين جهاد الإنسان
في الحياة لقاء ما يلقى من خطوبها ، وأحداها ، وصروفها ،
واعنائها ، وما يفرض عليه فيها من حقوق لا مندوحة عن أدائها ،
فأدرك رسول الله وقال إن الحرب جهادها أصغر ، وإن الحياة
جهادها أكبر ، وإن جهاد الأبدان هين يسير ، وجهاد النفوس
شاق عسير ، وإن جهاد الغزو محدود بوقته قصر أو طال ،
وجهاد الحياة يبدأ بالحياة وينتهي بانتهاء الأجيال

وفي كلمة رسول الله تجلبد لما بين النفوس والأبدان من صلة
تجعل للنفوس على الأبدان سيطرة وسلطاناً ، وتسخر الأبدان
للنفوس فيما توجهها إليه من غايات ومقاصد
ولذا كانت النفوس صكباراً . تبعت في مرادها الأجسام
وكلا علت النفوس بمت أغراضها ، وجلت مأربها ، فاشتدت
الجهاد والتضال بينها وبين ما يتكادها في سبيل الحياة من عقبات

وقد حفظت لنا كتب الأدب العربي كثيراً من أدبهم
وشعرهم وحكمهم وخصوصاً آثار شاعرهم العظيم وخطيبهم الفؤاد
فطري بن الفجاءة

المراجع البرم-

لم يبق من فرق الخوارج إلى اليوم إلا فرقة الأباضية ، وهي
من الفرق المعتدلة ، وقد نشأت في الأماكن الإسلامية الثانية ،
في عمان ثم في شرق أفريقيا الشرقية ، ثم في أفريقيا الشمالية .
وتكون هذه الفرقة الآن دولة مستقلة في داخلية سلطنة عمان على
الخليج الفارسي ما

نريد مصطفى عز الدين

يستنفروا فينفروا وينساقوا إلى الحرب وردًا ، يؤزم الحساس
أزًا ، حتى إذا « حمت وشب ضرامها » رخصت الأرواح وهان
الموت : فما ترى الناس يفكرون أو يترددون ، ولكن إلى حياض
الردى يتدافعون : لا يصدم عنها صناد ولا يتكأ دم في سبيلها
عقبة ، وأتى لهم أن يترددوا والخافز لا تفر همته ، والدافع لا تمن
عزمته . وهم لا يستشعرون عناء للحرب ، ولا يرون خطراً
للقاتل ، ولا يفكرون في بلاء الفوز . لأنهم لا يجدون متسعاً لأن
يشعروا أو يبصروا أو يفكروا

أما في السلم فما أشق الرسالة وما أخطر الجهاد ! الناس
هادئون وادعون ، يجدون من الوقت والطمأنينة متسعاً للتخاذل
والتفكير ، والتردد والتدبير ، والاختلاف والمحال ، والتكرار
والجدال ، أليس شافكاً جهاد الرسول : وهو يدعوهم إلى دين لم
يعرفه آبائهم ، وخلق لم تألفه طبائعهم ، وحياة غير التي ألفوها ؟

على أن رسول الله حين أشار إلى الجهاد الأكبر ، جهاد
الحياة ، لم يكن يحدث الناس بما سيقاه وخدم من نصب وإعنات ،
وإنما أراد أن يذكرهم بما كتب عليهم جميعاً من جهاد في الحياة .
فما كتب الجهاد على الزعماء دون الدعاة ، ولا كتب على القواد
دون الأجناد ، ولا على الرعاة دون الرعية ، ولا على الكبير دون
الصغير ، إنما جهاد الحياة فرض يستقبل الناس حين يستقبلون
الحياة ، ولا ينصرف عنهم حتى تنصرف عنهم الحياة

لما تؤذن الدنيا به من صروفها يكون بكاء الطفل ساعة يولد
إذا أبصر الدنيا اسهل كأنه بما سوف يلقى من أذاها مهدد
ولا لما يكيه منها ولأنها لأفسح مما كان فيه وأرغد
وهذا الطفل إذا اشتد جهاد في الحياة جهاداً يتفق مع شأنه
في الحياة ، ولا يزال الطفل ينمو ويخطو في حياته ، ونصيبه من
الجهاد ينمو ويخطو ألزم له من ظله حتى مماته . وجهاده في
مراحل حياته يتربيه من الأعراض والصور ما يترى كل كائن حي
في أطوار حياته من نمو وقوة ونشاط وضعف وهجر وفقر وغير ذلك
فالرضيع لا يجاهد إلا فيما يشعر به من ألم أو حاجة . ولذا
يكون جهاده « ذاتياً » محدوداً ، يستعين فيه بأعضاء بدنه ؛ فان
ألم عليه الألم والحاجة استعان فيه بالبكاء حتى ينفث فيظفر ، أو

يمشي فينام فيقف . ثم ينمو الطفل فيدرك معنى « الملكية »
فيجاهد في الاحتفاظ بما ملك ويسعى للملكية ما لا يملك ، فيزداد
جهاده ، ويشدد ويحول إلى غير ما كان عليه جهاد الرضيع
والشاب في شبابه يدرك معنى الحياة فيستدبر إلى نعيمها
وملذاتها ، وتتمدد حاجاته ومطامعه ، ويسعى حينئذ للاستمتاع
بالنعم واللذة ، ويُعيد نفسه لما تفرضه عليه سنن الحياة ، فيجاهد
في ذلك جهاداً عتيقاً ، ويلقى في جهاده نصيباً

والكامل يسعى وراء الرزق : يدبره لنفسه ، ويدبر أخلاقه
على أهله وأبنائه ، ويدبر منه لمقبه وأخلاقه . وإنه لو اجد في
سبيل الرزق عقبات وعوائق . وإنه لجاهد مجاهد في تذليلها ،
والتغلب عليها ، وإن جهاده لشديد ، وإنه لأكثر بلاء وعناء
والشيخ القاني الذي نقض يديه من الدنيا ، تتباه الأضرار
والعلل ، ويلج عليه الفناء ، وتغذله قواه ؛ فيجاهد في الحياة
الباقية له جهاداً عتيقاً جباراً ، ولكنه خائب صامت ؛ يكسر

من حدة صبر الشيوخ وأباتهم ، وضعف آمالهم واستسلامهم
أولئك جميعاً تفرض عليهم الحياة قروصاً ، وتلوح لهم بمطامع
وم يسطون إليها آمالاً : ثم تقيم لهم في السبيل عقبات ، وتنصب
بينهم وبين مطامعهم حجاباً ، وتجعل أمامهم سرايا ، وم
لا ينفكون يجاهدون : تنزل بهم البأساء ، فيطمعهم الرجاء ،
وتنقطع بهم أسباب الأمل ، فيفريهم طول الأجل

حتى الرجل الذي لا تشغله الدنيا بزخرفها . والذي يصدف
عن مطامعها ، والذي يؤثر الآخرة على الأولى : ذلك جهاده
قوى حاد . فهو أبداً في جهاد مع نفسه ولنفسه : يروضها على
الزهد والاستغناء ، ويدفع عنها عوامل الاغراء ، ويسوقها إلى
الفضيلة ، ويباعد بينها وبين الرذيلة ، وهو جهاد لا يهون ، ولا
يصبر عليه إلا القليلون

وأهون الناس شأنًا في الحياة وأقلهم تقديرًا لشأنها وأكثرهم
استخفافاً بها لا يحيد له عن الجهاد فيها : أليس عليه أن يجاهد
الحر والبرد والمطر والشمس والعلل والأراض ؟ ذلك جهاد على
سداخته شاق وعسير

ما أصدق رسول الله فيما قال ، وما أبعد نظره فيما رأى ؟
البريداني أمير الظاهر

من مشاهد الشرق

٣ - طائفة البهرا في الهند

في مضرة داعي الرعاة

بقلم محمد نزيه

مضى محمد علي بنخس رئيس الوزلة البهري وأنا في أثره ، في بعض جادة القصر ، حتى انتهى وإنتهيت معه إلى باحة نسيحة أمام سلم مديد ، ذي ست درجات من رخام أبيض يشف عن ذرقة رقيقة ، فلما أن درجناه كذا أمام بابين رحيين ، كلاهما - ميل إلى تلك الحجرية الرمية التي يستقبل داعي الدعاة زواره فيها ؛ وإذا كانت غرفة الانتظار قد تقاضتنا خلع الأحذية قبل ولوجها ، فأحضر بفرقة الشيخ الأكبر أن تطالب قصادها بمثل ذلك وأكثر منه . وكذلك هتفت بي نفسى هذه المرة بما هتف به سائق السيارة من قبل ، أن اخلع نعليك فانك قادم على أنيس المهدي المنتظر وجليسه ، وأمينه سرّاً وعلانية ، وأبي بكره من دون الخلق أجمعين !

ولقد ظللت مذ أسرى في من غرفة الانتظار إلى غرفة الملتقى - وكلاهما حرام - منصرفاً عن كل ما عسى أن يتداول مع المرء وبصره ، إلى التفكير في ذلك الرجل الذي يتقاضى جميع الناس كل أسباب التقديس له ، بين مؤمن بمذهبه ومستريب به ومتكره له ، ثلاثهم من تقديس الشيخ في أوضاع متشاكلة ما أرادوا لقاءه ، بل وما يكون هذا التقديس من ثالث الثلاثة تكلفاً ولا صناعة ولا زيفاً ، فقد كنت أحسبه كذلك من قبل ، وهأنذا الآن في منتصف الطريق بين الحجرتين ، مغمم النفس برهة شديدة تكاد تطنى على الرغبة الشديدة في رؤية الشيخ ، بل وما فتئت هذه الرهة تشتد سرياً ، حتى لقد بلغت شأوها في ثلاث من خطواتي ، وإذا بالحواس الخمس قد رقت في بعض البديقة ودق أرهاقها ، فكأنما غادرت عالم اللبوس والمحسوس إلى عالم الإلهام ؛ وما دام هذا العالم الجديد لا يدرك مما يحيط بالمرء وإنما يدرك من باطنه ، من دخائل نفسه ، فقد انقلبت حواسي

كلها إلى نفسي ، وكأنني بت لا أعي من الوجود شيئاً ، ولم تزل هذه النفس المرتبهة تتسع حتى تغلغل كل فضاء داخل الجسد ، وتشمل القلب كله ، وتغير على ما فوقه وما تحته ، وما عن يمينه وما عن يساره ، وما أمامه وما خلفه ، كل ذلك في خطي الكمرية ، فلم أكّد أتم الخطوة الرابعة حتى كنت نفساً ولا جسداً وأخذت هذه القوة الجديدة تتخيل صورة الشيخ وتحاول رسمها ، فإذا دأبت في هذا السبيل جاهدة ، انبثت ذرات الرهة ، فتوثبت على القلب فاختل نظام دقاته ، وهتاك تضطرب النفس فلا تقوى على المضي في مهتها ، لذلك لم ترسم الصورة حتى صرت على قيد خطوات من صاحبها ، فقدمت إليه حتى استويت أمامه . لم يكن في وسبي ولا في وسع سواي أن يصافح الشيخ دون أن يتحنى ، إلا أن يركع ، مالم يكن قصيراً ، ولست بقصير . ذلك أنه يجلس على كرسي لعل مقعده أدنى إلى الأرض مما يصعد في كل كرسي ، ولم ينهض الشيخ عنه ليصافني واقعاً ، وربما كان لا يعرف الوقوف من أسباب التحية ، فلا مناص لمن شاء مصافحته من الانحناء ، ثم لا مناص لمن استأذن عليه من اللعانة ، ومن يدري ؟ لعل هذا الكرسي القصير إنما دبر تديراً ، ثم إن هذا الكرسي قد عوض عن قصر أرجله رحابة في صدره ، حتى لقد تبينت الشيخ من الكرسي ولم أتبين الكرسي من الشيخ

سأغت الشيخ متحنياً ولا بد ، فإذا كف تحيل لعل الرف يؤذي عظمه ، فلقد أحسبت أنني أقبض على حزمة من الأقلام ، بل أحسبت أكثر من ذلك بالفاصل الدقيقة لكل أصبع ، وكأنما انفرطت عظامها في يدي فما يستمعي عندها علي ؛ لكان هذه الكف ترتفع من تلقاء نفسها إلى شيء ، فلقد علمت أنني رفقتها ، ولعل ذلك إكبار ولعله رفق بالضعف ، ولا سيما وهو ضعف الكبر ؛ ولشد ما يحنو بعض القوة على بعض الضعف ؛ إذن فقد انحنيت فصافحت ثم قبلت ، وخطوت بعد ذلك إلى الكرسي الواحد الذي يشاطر الفرقة كرسى الشيخ ، ثم تحركت حدقتا عيني فطافتا ببعض الحجرية وميضاً حتى استقرتا لحظة على صاحب محمد علي بنخس وقد ألقى ظهره بالجدار ، وأمال رأسه إلى الامام قليلاً ، وشبك أصابع كفيه على صدره تحت لحيته ؛ وجد كذلك كأنه التمثال

سألتى داعي الدعوة عن موقع المدينة من نفسي ، ثم عن الصحافة المصرية وحظها من النهوض ، فلما أن فرغ من أسئلته وحان دوري في السؤال ، وكنت أعلم أن التحدث في مسائل الدين هو أشهى الأحاديث لدين رجاله ، وأعلم إلى ذلك علماً ليس بالظن أن أقران الشيخ لا يفتأون يفتون على الناس تركهم أمر الآخرة ، فكل امرئ عندهم مفترط مهمل مخفف من زخارف المأجلة وتولى برحمة الآجلة ، ما يألونه إذ يرونه ذلك التصح المزوج بالتعنيف والانهام ، فهم متسخطون متبرمون رغمًا من رغم ، أثرة بالكمال من دون الناس ، فقد استهلكت بالأسف لاهمال المسلمين أمور دينهم وأمور دنياهم معاً ، وكأنما قلت للسيل أنهم ، فقد تدفق الشيخ فلم يترك في معجم الألم كلمة الا قالها ، ولا حركة الا أتاها ، بسينية وشفتيه وكفيه ، قال بلسانه العربي المين — وقد أسلفت أنه من سلالة عربية قريية العهد بموطنها الأول ، المين : (إن دولة الاسلام قد انهارت أركانها في كل مكان ، ودكت حصون الدين وسقطت معاقله ، حتى عادت أطلالاً فاجبها) ثم راح يبعث قول الشريف الرضي :

ولقد مرت على ديارهم وطلوها يد البلى نهب فبصكت حتى ضج من لب نضوى ورج بمذلي الركب وتلفتت عيني فلد خفيت عني الطلول تلت القلب قلت : هل يرى مولانا أن تخلف العالم الاسلامي فاجم عن إهمال الدين ؟ قال : (عن إهماله فقط ، وليس في أداء فرائضه وحسب ، بل في التأديب بأدابه ، بل في الاستصاكا بأسباب التعاون والمودة ، وإطراح الخصومة والعداوة والبغضاء ، وحذب الفتي على الفقير ، واطمئنان الفقير إلى الفتي ، وخشية الله والآخرة ، وإتقاء الخزي والندامة ، والخسرة والمذاب يوم القيامة)

قلت : وهل من أمل في إصلاح ما نههم ؟ فانبسطت أمرة الشيخ دفعة واحدة والتمت عيناه ، وطلعت منه صوت يتجلى فيه الحزم والعزم والإيمان والبأس الشديد وهو يقول : (نعم . إن الأمر لله في دين الله ، وإنه ليحميه ويمنلي كلمته حين يشاء ، ولكننا نترك الأمر للناس حتى يسلّموا بالفشل ويتسوا من النهوض ، وإذ ذاك يقضي الله فإذا الحق في الذروة والباطل في الزفام)

قلت : أفلا يحاسب رجال الدين على شيء مما نرى من أمر

الدين . ؟ فسكن الشيخ لحظة ثم قال : (أعلم أن كثيراً من الناس يقومون برجال الدين ويقعدون ، ولكن ما الذي يسع رجال الدين أن يفعلوا إن كانوا في شغب متخاذل مستضعف ؟ إنهم إذ ذاك لا يفضلون أبناء شعبهم ، ولعلك تعلم أن الفساد جرثومة مريمة الدوى ؛ وهب أن بين رجال الدين من امتنع من جرائم الفساد ، فإذا يفعل وأهل أمته كلهم ذلك الحواري الذي شهد على عيسى بن مريم ؟ . أفندري كيف تقهر الأمراض المصيبة في الأجساد ، إن أحدث أسباب ذلك وأسدقها نتيجة أن يافح الجسد المريض بعين الجراثيم التي ترح فيه ، ولم يقنه الطب إلى ذلك إلا بعد قرون من تنبه الحكام إلى أثر هذه الرسيمة نفسها في أخلاق المحكومين ، ولن يعدم زمن من الأزمان ، ولن تبرا جماعة من الجماعات ، من أشرار وإن قلوا ، وتلك سنة الحياة ، وقد احتل الظلمة وافتشوا في الاحتيايل ، حتى استكشفوا أن رجل الدين الصالح لا يقهر إلا برجل الدين الطالح ، ثم هم يزودون صاحبهم بقوة المال وسطوة البطش والمدوان ، ويذودون عنه بعد ذلك إن أحقق به خطر ، فإذا سفلوا في ذلك قلوا ، إنما رفع كلمة الدين ونمينة من الهوان)

وتنفس الشيخ برهة ثم قال : (كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته ، وقد نزل الدين سهلاً مفهوماً ، فلنأخذ بعبادته التي لا تحتاج إلى رجال الدين ، فإذا استقرت هذه الأوليات في النفوس ، سهل علينا أن نغيز الصالح من الطالح من رجال الدين فنأخذ عن أولها ونذع الآخر . على الآباء والأمهات جميعاً بهذه المهمة ، كل يؤوب أبناءه بأدب الدين منذ الصغر ، قبل أن يبلغ الطفل أشده ، فيصيح تحت رحمة القانون والبيئة والطامع)

قلت : وهل من سبيل إلى تخفيف الفساد ؟ قال : (نعم ، ولكن أسباب التخفيف لا تعرض هكذا على بساط الرمح ، فلا بد من البحث والروية والتثبت ، ولا سيما ونحن نريد أن نعالج جماعات كثيرة مختلفة الملل ، وقد يصلح لهذه من الدواء ما يزيد تلك علة على علة ، ولذا وجب أن يجتمع أطباء الدين والأخلاق من كل جماعة أطباؤها ، فإذا تذاكروا جميعاً حتى اهتدوا إلى الملة المشتركة ، تذاكروا حتى يهتدوا إلى الدواء المشترك . المؤتمرات ، على أن تكون خالصة لله وحده ، تقية من الدخلاء ، بريئة من الشبهات ، حرة أكل حرية ، مطبوعة بذكر الذات والابتكار

مافى المسجد ناطق ببساطته ، خلا نوياته الثينة التى تؤلف فى انتظامها أروع الشكول . فلما فرغنا من تفقد المسجد دعانى صاحبه إلى التدرج إلى أعلى القصر ، حيث أعده به موضع يشرف على المدينة كلها ، فترى منه واضحة المالم جليلة الرسوم ، ولولا سدول الليل لاستطعت فى هذه القمة إحصاء مساجد (عبي) وعدد حدائقها ، وتبين أعلامها والتجديق فى ميادينها ، على أنك لا ترى المدينة وحدها من هذه القمة ، بل ترى البحر وعبابه بنسب إلى عالم المجهول

القاهرة

محمد زكي

وزارة المعارف العمومية

اللجنة الوزارية الاستشارية لبعثات الحكومة

تعلم إدارة البعثات بوزارة المعارف أنها ستوفد فى هذا العام بعثتين عضو واحد من الحاصلين على دبلوم الهندسة الملكية قسم (الكهرباء) للتخصص فى الرياضة والطبيعة بجامعة كبرديج بإنجلترا لاعداده للتدريس بمدرسة الهندسة الملكية

فمن من يريد ترشيح نفسه لهذه البعثة أن يقدم طلبه بذلك على الاستارة الخاصة بالمعدة لذلك . ويمكن الحصول عليها من إدارة مخازن وزارة المعارف بدرب الجاميز بالقاهرة نظير دفع ثلاثين ملياً . ويرسل هذا الطلب بعد استيفائه مسجلاً بطريق البريد إلى : حضرة صاحب المالى رئيس لجنة البعثات بالمعارف . وذلك إذا كان الطالب غير موظف فى الحكومة . أما إذا كان موظفاً فيها فيجب أن يقدم طلبه إلى رئيس المصلحة التى هو تابع لها

وفى كلتا الحالتين يجب ألا يتأخر وصول الطالب إلى سكرتارية لجنة البعثات بوزارة المعارف عن ١٠ أغسطس

سنة ١٩٣٥

٢

دون الأثرة) وسكن الشيخ برهة وقد بدا على عيائه أنه يطلب الراحة ؛ ثم ضط على جرس كهربائى مثبت على منضدة صغيرة أمامه ، فان هى إلا ثوان معدودة حتى أقبل من داخل الحجره خادم يحمل يمينه لفافة من قماش ، تقدم بها إلى الشيخ فتناولها منه ، ثم مد بها يده إلى ناحيتي ، فخطوت اليه وأخذتها شاكرآ ، وودعت دأى الفتاة بعد أن أقيمت على سمعه ماواتانى به الله من كلمات الشكر والتقدير

أما لفافة القماش ، فقد تبينت بعد أن باينت الفرقة أنها (شال) من الكشمير وسط فى صنعته وقيمته ، ثم علمت أنه نفحة الشيخ لكل زائر غريب ، وإنما تختلف قيمتها بقدر ما للزائر من مكانة فى قومه ، وأما غرفة الزيارة فرحبة تكاد تسع ثلاثين متراً فى نصفها ، يرتفع سقفها على عمد من رخام ، عارية الجدران من الصور ، حافلة الأديم ببساط أبيض عار من زهو النقوش ، وقد أسلفت أنه لم يكن بها إلا كرسيان للشيخ ولئى ، ولعل هذه البساطة فى مظاهرها والرجابة فى اتساعها مما يزيدا رهبة ويزيد صاحبها إحلالاً . أما الشيخ فانه من نحول الجسد ورقته كأنما كان الثني يعنى لما قال :

كنى بجسمى نحولاً أنى رجل لولا غطاطى إلك لم ترى وهو على شدة نحوله ليس بالطويل القامة ، كأنه غاندى ، لولا أن وجهه المستطيل خفيف السمرة ، مشرق الدياتحة ، متنع العينين حتى لملآن نصف وجهه ، حديد البصر ، كأنما تطل نفسه للطمثنة من عينه ، ضاحك السن فى وقار كثير ، تبتك مظاهره كلها بأنه رجل موطأ الأحكام حقاً . وقد استتر رأسه تحت طاقية بيضاء ، وغطى جسده بجلباب أبيض ، وهو فى غرفته مثال نادر الأنداد للبساطة فى الثنى ، والتواضع فى الجاه

كررت إلى جادة القصر يصحبني محمد على بحش ، فمضينا إلى مسجد القصر متحدثين بالإنجليزية فانه لا يعرف العربية ، فإذا نحن حيال مسجد حديث البناء أتيقه ، متوسط السمرة ، مفروش بالسجاد ، ذى ثلاثة أبواب ، اثنان منها لدخول المصلين من الرجال ، والثالث لدخول الصليات من النساء ، وقد فصل بينهن وبين الرجال فى رواق المسجد جدار وحق لا يتصل بسقفه ، أما التبر فمن الخشب الثمين المتيقن وقد خلا من كل زخرف ، كل

المؤلف والتاريخ

٢- الرافعي

بفلم تلخيصه وصديقه

الاستاذ محمد سعيد العريان

الرافعي الأديب

مضى الرافعي في قرض الشعر، معنيًا به، متصرفًا في فنونه، ذاهبًا فيه مذاهبه، إلى جانب عنايته بالتأليف والكتابة، وانكبابه على العلم والتحصيل، فوضع في سنة ١٩١١ كتابه (تاريخ آداب العرب)، وحسبك به من كتاب أن يقضى الأستاذ الكبير أحمد لطفى السيد بك أسبوعًا بخطبه عنه في مجالس العاصمة (١) وقد كتب عنه الأمير شكيب أرسلان - وهو أشهر كتاب العربية في ذلك الوقت - مقالة في صدر (المؤيد) جاء فيها: «لو كان هذا الكتاب في بيت حرام إخراجُه للناس منه، لكان جديرًا بأن يُحجَّ إليه؛ ولو عُكِّف على غير كتاب الله في نواحي الأسحار، لكان جديرًا بأن يُمكنف عليه...»

وقال عنه المقتطف: «إنه كتاب "سنة...» وما كتب المقتطف مثل هذه الكلمة من قبل ومن بعد لغير هذا الكتاب ومن يقرأ كتاب الرافعي (تاريخ آداب العرب) يعرفه عالمًا عميق البحث، مُرتَّب الفكر، واسع المعرفة؛ إلى جانب معرفته به شاعرًا عربيًّا الديباجة، مُشرق المعنى، مشبوب الماطقة؛ على أنه كان يومئذ لم يجاوز الثلاثين...

ثم ألَّف الرافعي (كتاب الساكنين) الذي يقول عنه فقيد العربية الصلابة أحمد زكي باشا: «لقد جعلت لنا شكيبيرًا للانجبار شكيبير، وجوته كالألمان جوته، وهو جوكا للفرنسيين هوجو...»

وتألق نجم الرافعي الشاعر العالم الأديب، وبرز اسمه بين

(١) حدثني الأستاذ الرافعي بهذه العبارة، كما حكاهما له الأستاذ أحمد لطفى السيد بك

عشرات الأسماء من أدباء عصره برأفاً تلتهم أعضاؤه وترى أشتتها إلى بعيد؛ على أن هذه الميزة الكريمة التي فاتها الرافعي بين الكتاب إلى جانب منزلته في الشعر - لم تكن عربية؛ فقد حدثني أديب فاضل كانت له صلة بالسلامة الشيخ إبراهيم اليازجي: أن الرافعي لم يطبع الجزء الأول من ديوانه سنة ١٩٠٣ وأنه من نسخة إلى الأستاذ اليازجي - أبطأ في الكتابة عن الديوان؛ فـأله هذا الأديب الفاضل في ذلك فقال: لقد قرأت مقدمة الديوان فكبرت أن يكون كتابها من عصرنا؛ فأنا منذ أسبوعين أبحث عنها في مظائرها من كتب العربية، مما أخادع نفسي في قدرة هذا الشيخ على كتابة مثلها. فقال له: إنه ليس بشيخ، بل هو فتى لم يبلغ الثالثة والعشرين...

وليس عجيباً أن يكون هذا كلام اليازجي، فقد برهن الرافعي من بعد ألف برهان على ذلك. وإنما كتب هذه المقدمة وعُني بها حتى جاءت ما جاءت، ليعارض بها مقدمة حافظ لديوانه الذي نشره قبل ذلك بقليل؛ وكان لمقدمة حافظ هذه حديث طويل، حتى نسبها بعضهم يومئذ إلى المولى؛ ولكن مقدمة ديوان الرافعي جاءت بعدها تقطع قول كل خطيب؛ واحتل بها (المؤيد) أيما احتفال فنشرها في صدره، والمؤيد يومئذ جريدة العالم العربي

بين الجبريم والقصيم:

ثم بدأ الرافعي يحل عن الشعر رويداً رويداً حتى هجره منذ عامين، لم ينظم فيها غير قصيدتين اثنتين نشرتا له في مجلة المقتطف. وإنما لخسارة كبيرة أن ينصرف الرافعي عن الشعر ويترك ميدانه خالياً... على أنه لم يهجر غير الشعر المنظوم، وهذه كتاباته المنثورة ضرب من الشعر أفسح مدى وأبعد غاية، وإنه لينسى بها أديباً جديداً في العربية على رغم ما يُتهمه بالتقليد والمحاكاة على القديم؛ بل معانيه كما قال الأستاذ الدكتور منصور فهمي في تقريره رسائل الأحرار: «إنها من آخر طراز يأتي من أوروبا...» على أن الرافعي إلى ذلك ليس له حظ من لغة أجنبية، ومعرفته الفرنسية لا تجدى عليه اليوم أكثر مما كانت تجدى عليه يوم كان يتعلمها بالدراسة وهو غلام؛

وللجديد والقديم حديث طويل في تاريخ الرافعي؛ فهو قد

النقد ، مما عالج من مختلف فنون الأدب ، ووقف على أسرار العربية ؛ من ذلك لما كتب المرحوم السيد مصطفى لطفى النفلوطى مقالته عن الشعراء ونشرها فى مجلة (سرگيس) سنة ١٩٠٣ ، كتب المرحوم حافظ إبراهيم إلى الرافى يقول : « . . . قد وكلتُ أمر تأديبه إليك . . . »

وقد تعجب أشد العجب أن ترى الرافى ينسى حين يجرّد قلبه للنقد كل اعتبار مما تقوم به الصّلات بين الناس ؛ ولكنه هو يمتدّر من ذلك بقوله : « . . . إننا نعمل على إسقاط فكرة خطيرة ، إذا هى قامت اليوم بفلان الذى نعرفه ، فقد تكون غداً فيمن لا نعرفه ؛ ونحن نردّ على هذا وعلى هذا برّدٍ سواء ، لا جهلنا من نجهله بلطف منه ، ولا معرفتنا من نعرفه بتبايع فيه . . . فإن كان فى أسلوبنا من الشدة ، أو العنف ، أو القول المؤلم ، أو التهمك ، فما ذلك أردنا ، ولكننا كالذى يعف الرجل الضالّ ليمنع المهتدى أن يضلّ ، فما به دَجْرُ الأول ، بل عقلة الثانى . . . »

وقد خسر الرافى كثيراً بالأسلاك على مذهبه ذاك ، ووضع نفسه بحيث تنوشه من كل جانب سهامٌ مسدّدة ، وألّج عليه كثيراً من الخصوم ؛ ولكنك لن تسمع منه أبداً كلمة الندم ، وتراه على ترئّص دائم لسكل « ذى دخلة للدين والعربية . . . » وهو ضربٌ من التضحية والشجاعة يدعو إلى الإعجاب

وكما ترى هذا الموقف للرافى من دعاة الجديد فى الأدب ، ترى له موقفاً قريباً منه من دعاة الجديد فى الأخلاق والاجتماع ؛ فله آراء فى الاختلاط ، والحجاب ، والتعليم ، والحريّة ، والحب والزواج ؛ تراها منبثّة فى عديد الكتب والمقالات ؛ ولكن قليلاً من القراء من يستطيع أن يفهمها بروح مجردة من هوى ، ليمرّف أىّ مذهب فى الاجتماع يدعو إليه الرافى ؛ وله فى هذه المقالات روح رقيقة ، وشر ساجر ، ووجهة قوية ؛ وهو فيها من أنصار المرأة عند من يعرف أين يكون انتصار المرأة ؛ ولست واجداً أجداً يردّ عليه وأيه فى ذلك على قلبه من تجد من أنصاره ؛ وقد جلست مرة إلى أديب كبير ومربّ فاضل ، نداول الرأى فى أدب الرافى ومذهبه الاجتماعى ، فقال لى : « إنك لن تجد أحداً من أنصار الجديد يرضى هذا المذهب ، ولكنك

وقف نفسه على الدفاع عن الدين والحفاظ على لغة القرآن . ذلك مذهب درج عليه وأعانت عليه نشأته وتربيته ؛ وهل يأخذ أحد عليه هذا المذهب أو يتكره ؟ . . . فهو إنما « يحرص على اللغة من جهة الحرص على الدين ، إذ لا يزال منهما شيء قائم كالأساس والبناء ، لا منفعة فيهما معاً إلا بقيامهما معاً . . . » وإنه يسبيل ذلك ليسأل : ما الجديد وما القديم ؟

لو أنهم يعنون بالجديد الابتداع والطرافة بمقدار ما يتطور الفكر ، أو الانشاء والابتكار على مقدار ما ينعمل الزمن فى إحساسات أهله ، أو التنويع والتخلّص على قياس ما يزيد فى المعانى ويستجدّ من انفصالات النفس - لو أنهم يعنون بالجديد شيئاً من ذلك ، أو كل شيء من ذلك ، لوجدوا الرافى مجدداً مع المجددين ؛ بل لما كان لشيء من هذا أن يسمى جديداً ، لأنه حكم الزمن وسنة التطور من قديم . . . أما أن يكون التجديد هو ابتداع لغة ليست من اللغة ، وإنشاء دين من شهورات النفس لا من وحى السماء ، والتدوير على التاريخ القديم باختراع تاريخ من الأحلام - أما أن يكون ذلك كذلك فما هو التجديد ، ولكنه التبيد الذى يوشك أن يتيمم الفناء . . . !

فى النقد :

هذا هو الرافى فى موقفه من الجديد والقديم ؛ وما نحسب أن تنتهى منه حتى تمرض لأسلوب الرافى فى النقد ؛ فما نعرفه ناقداً حنيفاً إلا حين يتناول الجديد والقديم ؛ وإذا نحن تدبرنا ما أسلفت من تلخيص رأيه فى الجديد والقديم ، ومن مقدار حماسته فى الدود من الدين والعربية - عرفنا لماذا يؤثّر الرافى ذلك الأسلوب المتيف فى مهاجمة خصومه والطنن عليهم ، إذ هو لا يعتبر حينئذٍ إلا شيئاً واحداً ، هو الدفاع عن الدين وراث السلف ، مؤمناً بأنك « لن تجد ذا دخلة خبيثة لهذا الدين إلا وجدت له مثلاً فى اللغة . . . » وأنت لا ترى الرافى مرة يأخذ فى أسلوب النقد ليدفع كيداً يراد باللغة والدين ، إلا كما ترى البدوى الثائر لمريضه ، يطرح كل اعتبار من دون هذا الشرف المتلوم ؛ فمن ثم يكون فى كلامه معنى الدم . . .

على أن الرافى إلى شدته وعنفوانه ، ناقدٌ بصير بأساليب

لن تجد أحداً - أيضاً - يستطيع أن يصابول الرافى في ميدانه
بمثل حجته وقوة إقناعه . . . »

الرافعى والمرأة :

وإذ تكلمتُ عن مذهب الرافى في الاجتماع ، فاني أقف
قليلاً لأحدث عن الرافى والمرأة

ومعجب أن يكون الرافى صاحب « إعجاز القرآن ، وأسرار
الإعجاز ، والبلاغة النبوية ، والانسانية العليا ، وسمو الفقر ،
والحدث ، الفسر ، التصوف ، الذي يصف عن عصر النبوة ،
ومجالس الأئمة ، وكأنه يعيش في جوهم وينقل عن حديثهم ؛
والذي تتصل روحه فيما يكتب من وراء القرون بروح الفزالي ،
والحسن البصري ، وسعيد بن المسيب ، وغيرهم وغيرهم من
أئمة السلف - عجيب أن يكون هذا الرافى هو صاحب « رسائل
الأحزان ، والسحاب الأحمر ، وأوراق الورد ، وسمو الحب ،
والإيمان ، وسحر المرأة ، والطائفة ، وغيرها وغيرها ؛ فيصف
عن المرأة والحب ، ويتحدث في ذلك حديث الرجل الذي عرف
وذاق وجرب ، ولبس المرأة ولبسته ، واستبدل قلباً بقلب ،
وتقلب بين مجالس ومجالس ، وسمع (لا) بمعنى (نعم) ، و (اليك)
عني (في موضع (اتبني يا حبيبي) ؛ والذي يترجم معنى النظرة
والإبتسامة وما بعدها . . . »

وإنك لتراه أحياناً يمزج بين حديث الحب وحديث الدين ،
ويصل بين وحشي السماء ووحى الميرون المذبح . . . فتسأل :

أي رجل هو ؟

ولقد خالطته زماناً ، فاني لأعرفه عرفاني لنفسى ، فما وجدته
في حايته إلا الرجل العف الكريم ، ولكن له عالمًا من وراء
هذا العالم ، يصل اليه في سبحات فكرية لطيفة ، ليستوحيه من
سماني المرأة مالا سبيل إلى معرفته في دنيا الناس . ولو أنك أردت
أن تسأله مرة : أي رجل أنت ؟ لما جاءك الجواب إلا أنه
رجلٌ وَحَسْبُ . . . »

وتسأل نفسك : هل عرف الرافى الحب تحفةً يحتاجه
إلى تلك المرام غير المنظورة ينقل عنها فلسفة الجمال والمرأة
والحب . . . ؟ فاستمع اليه يقرر : « إن النابغة في الأدب لا يتم
غنامه إلا إذا أحب وعشق . . . » ثم ارجع إلى كتبه الثلاثة :

رسائل الأحزان ، والسحاب الأحمر ، وأوراق الورد ؛ لتعرف
« أنها كانت عواطف فارت وقتاً ما ، ليحدث منها تاريخ ؛
وسكنت بعد ذلك ليحدث منها شعر وكتابة . . . »

ولكن ، من تكون تلك الفتاة التي تسمها وتسميتها
زماناً ، « هي بروعتها ودلالها وسحرها ، وهو بأحزانها وقوتها
وفلسفتها . . . ؟ »

ذلك سرُّ هو ، أو سرُّها هي . . . !

وطنيته :

وللرافى رأى في معنى (الوطن الاسلامي) ، والوطنية
الاسلامية ، تلححه في كثير مما يكتب ، قوامه « أن يظهر
المسلم الأول بأخلاقه وفضائله في كل بقعة من الدنيا مكان
انسان هذه البقعة ، لا كما نرى اليوم ؛ فان كل أرض اسلامية
يكاد لا يظهر فيها إلا انسانها التاريخي بجماله وخرافاته وما ورث
من القدم ، فهنا المسلم الفرعوني ، وفي ناحية المسلم الوثني ،
وفي بلاد المسلم المجوسى ، وفي جهة المسلم العطل . . . وما يريد
الاسلام إلا نفس المسلم الانساني . . . »

فلا يمنع أن يكون إلى جانب احساسه بمعنى (المصرية)
احساس آخر بمعنى (الاسلامية) على أنها الوطن الأكبر ، كما
لا يمنع الطنطاوى أن يكون إلى جانب حبه (طنطا) حب
أعمق يشمل (مصر) كلها ؛ فإذا تحدث الرافى عن الشام ، أو
العراق ، أو بقعة أخرى من الوطن الاسلامي ، فما يسمي ذلك
أنه قد خلط مصريته

والوطن عند الحمجى دار توويه ، وحقل ينل عليه ، وكلما
زاد الانسان في معنى الانسانية انبسطت له رمة الوطن ، فمن
ثم كان الوطن فيما يرى الانسان المسلم هو كل أرض يخفق فيها
لواء الاسلام ، وما مصر ، والعراق ، والشام ، والمغرب ،
وغیرها إلا أجزاء صغيرة من هذا الوطن الاسلامي الأكبر ،
كالأقاليم من الدولة ، والمناطق من الأقليم ، والشوارع من المنطقة ،
والدور من الشارع ، والرفعتين من الدار ، حين يتذابر الأخوان
وتدب بينهما الشحنة التي توشك أن تفصمهما أنهما أخوان
لأب وأم . . . »

محمد سعيد العريانه

(البقية في العدد القادم)

دراسات في الأدب الانكليزي

وليم وردزورث

William Wordsworth

بقلم جريس القسوس

نشأته وطفولته :

هو زعيم طائفة شعراء البحيرات وسيد شعراء الانكليز بهد شكسبير ومilton . ولد هذا الشاعر في السابم من شهر ابريل سنة ١٧٧٠ في كوكرموث في إقليم البحيرات من مقاطعة كمبرلند . وهو من أسرة متوسطة في الجاه والثروة ، توفيت أمه وهو ابن ثمانى سنين ، وكانت تؤمّل لو فصح لها في الأجل أن يشاهد الدور الذي سيمثله على مسرح الحياة ، لأنها لمحت فيه طفلاً حذو طبعه ورجاحة عقله يميزانه عن بقية إخوته الخمسة . ولقد كان والداه مرشدين ، فهما اللذان تعهدا إنماء قواه العقلية ، وتوجيه مداركه الشعرية في أقوم السبل وأرشد الطرق ، وذلك بتلقيه أشعار القدماء والمحدثين ، وإلى ذلك يشير وردزورث في قصيدته « الفاتحة » The Prelude :

كان موطنه منذنا بالناظر الشعرية الخلابة التي استهوت
فؤاده ، ووجدت منفذاً إلى عقله فظهر أثرها في شعره

وبعيد وفاة والده قصد مدرسة هوكش حيث تلقى مبادئ العلوم والفنون . وكانت هذه المدرسة في محيط ريفي ساذج ، تكتنفها المناظر الطبيعية من جميع الأطراف ، مما أغوى شاعرنا وجعله يصرف أوقات فراغه في حضن الطبيعة . فتارة تلقاه يتمشى على شواطئ البحيرة ، وأخرى تجده يصطاد الأسماك ويداعب المصافير في أعشاشها ، أو يمرح بين التلال والشعاب بلاعب المرمى ويصبت بالخللان . وكثيراً ما كان يصطحب الكتب إلى تلك الحقول فيطالع منها ما يستسيغه ويبحث في نفسه أملاً ورغبة في الحياة

في كمبردج :

توفي والده قبل أن يتم دروسه الابتدائية ، لكن أريحية

عنه وليم كفلت له الالتحاق بكلية القديس يوحنا في جامعة كمبردج . وقد كره الشاعر هذه البيئة الجديدة ، وبجّت نفسه هذه الحياة القعيدة في بدء الأمر ، إلا أنه عاد فألفها وتشبع بروح ذلك المكان بعد أن جالت في ذهنه صور الشعراء الذين قضوا قسماً من حياتهم فيه . فقد أمدّه خياله الخصب بعالم رومى مطلق يعيش فيه ويستأنس بأهله لما لم تنج له الظروف أن يعيش طليقاً في الحياة . ولقد كان يتردد على أهله في بيرنث أو في هوكشند كل ما سمحت له الفرص . وجرى له ذات يوم حادث غريب كان له أثر بعيد في حياته الأدبية ، إذ بينما كان يتسلى أحد التلال في هوكشند رأى رؤيا غريبة ظن أنه أوحى إليه فيها بالعمل العظيم المند له . وقد ورد ذكر هذا الحادث باختصار في قصيدته (الفاتحة) ولا نعلم عنه أكثر من ذلك

رحلة امورلى :

اتفق شاعرنا وصديقه له على القيام برحلة كبيرة في جبال الألب في إحدى فرص الصيف ، وكان ذلك على أثر انتشار الأخبار الأولية عن الثورة الفرنسية . استأجر الصديقان سفينة وأبحرا فيها إلى ميناء كاليس ونزلا في اليوم الذي خلف فيه لويس السادس عشر عرشه بين الاخلاص للدستور الجديد . ومن ثم تصدا الجنوب إلى بحيرات إيطاليا وسويسرا ، فصرفا على شواطئها بعض الوقت الممتع ، ثم قطعا سيميلون ومن هناك كراعاتين إلى الأوطان ، وفي طريقهما لقيا جيوش الثوار فاشترى لواء الحرية ومنتضين سيف المعينان على المسكين . ولقد كان لهذه الرحلة أثر كبير في نفس وردزورث ، إذ أوحى إليه بزوح شعرية وثابة ونفس متمردة تنزع إلى الحرية وتطلب التجديد ، فلا غرو إن انتصر للثوار الفرنسيين ورفع صوته معهم منادياً بمقروط باستيل الاستعباد

في فرنسا مرة ثانية :

ما كاد الشاعر يتسلم شهادة من كمبردج حتى عن له أن يزور فرنسا مرة ثانية ليتصل بالثوار الذين تشبعت نفسه بمبادئهم في رحلته الأولى . شرع في ذلك ماشياً سنة ١٧٩٠ ، قرأ يباريس عش الثوار حيث قضى بضعة أيام يرصد في أنشائها حركات الثوار من كشب ، ومن ثم دخل إلى أورليان فبلوا Blois حيث

وحدة الذكاء ونفاذ البصر ، وكثيراً ما كانت توجه نظره إلى أمور دقيقة ، وحوادث غريبة ، ومناظر بديعة فيتخذها مواضيع لقصائده . وقد أخذت على نفسها مراقبته في غدواته وروحانه منذ صباها رغم معارضة أمها لها . فمند ما لحت فيه وميض المبقرية وفيض الشاعرية هبت إلى مناصرته وتشجيعه على المضي في سبيله . وكانت في أكثر الأحيان تقرأ أشعاره وتنظر فيها قبيل إعدادها للنشر تظفر الناقد الشفيق . وقد وجد في أخته هذه كل الرضاء والأنس بعيد رجوعه من فرنسا كاسف البال كبير القلب لما جتته بداء من أمم

في فرنست :

كانت أخته تقطن آنثد فورنست فقصدتها شاعرنا ، وهناك نظم عدة قصائد جمها في مؤلفين سماها « سير في الليل » An Evening Walk « ومقطعات وصفية » Descriptive sketches . واقد أعجب كولردج بهما وتكهن لناظمهما بمقتبل باهر في عالم الأدب رغم ما وُجه إليه من نقد على صفحات « مثيل ريثيو » و « أدنبرج ريثيو » . وفي تلك الأثناء خاض الشاعر الملمع السياسية فتأدى بتحرير الزوج ومماضدة ثوار الفرنسيين ، وبما لج في بحث له يرد به على أحد أنصار الملكية مبادئ الحرية مندباً باتباع نطاق الديمقراطية على حين لم يكن فيه الرأي العام قابلاً للأخذ بهذه الآراء البشيرة

فضى شاعرنا ردهاً من الزمن حائراً بين الكنيسة والأدب لضيق ذات يده . على أن النية رافيت صديقه الخيم ريسلي كاثرت فأوصى هذا قبيل مماته لوردزورث بتركته البالغة نحو ٩٠٠ ج مما حداه إلى الانصراف بكليته إلى الأدب وقرض الشعر . ولقد كان لهذه المرة أثر ظاهر في حياته ، وقد أشار إليها في « القائمة » وفي قصيدة موضوعها « إلى كالقرت »

والظاهر أن شاعرنا لم يكن على وئام تام مع أقاربه . نستنتج هذا من رسالة بثت بها شقيقته دوروثي إل أحد أصدقائها تقول فيها : « إن أخى لناقم على أقاربه ، ولا يصفو قلبه إلا لأخويه بوخنا وخريستو »

ميريسن القرمين

(يتبع)

تعرّف بابنة جراح فرنسي اسمها أنيت قالون Annette valon وأقام هناك برهة يتعلم عليها مبادئ الفرنسية . ولقد كانت هذه الفتاة على حظ وافر من الجمال مما استهوى شاعرنا وأوقعه في الشرك ، فوضعت على أثر ذلك طفلة . رأى وردزورث أن يحو إغته هذا بالزواج منها ، لكن الظروف لم تسمح له بالبقاء طويلاً في أرض الثوار لنفاد دراهمه وقطع عمه المساعدة المالية عنه متوخياً بذلك إرغامه على الرجوع إلى بلاده لتلايق في حياكل الملكيين . وإنا لنحمد الأقدار التي أوحى إلى عمه ذلك ، إذ لولاه لقضى شاعرنا كما قضى غيره من عباقرة الرجال أنصار الثورة الفرنسية ، ولم يخلف لنا بعد تراثاً أدبياً يذكر

ولقد أثارت عليه فعلته هذه حرباً عواناً في الأوضاع الاجتماعية والأدبية فبعد أن كان مثقفاً بالفنيلة والكمال إلى حد القداسة أسي اسمه مقروناً بالكفر والاثم خصوصاً بعد أن كشف لنا الدكتور هاربر عن هذه الصحيفة السوداء من حياته في فرنسا في كتابه « حياة وردزورث » . ولقد ظهر في سنة ١٩٢٢ كتاب لامييل ليغوس اسمه « وليم وردزورث وأنيت قالون » يصف فيه علاقة الشاعر بمشوقته للنكودة الحظ في بلوا . ولم يُشر الشاعر إلى هذه الحادثة في جميع أشعاره أو كتاباته النظرية إلا بمضى الإشارة والتلميح في قصيدته ثودرا كور وجوليا

Vaudracore & Julia

وفي أثناء إقامته في بلوا اتصل بفيلسوف وزعيم جمهوري كبير هو ميشيل يوباي ، نصرف منه طوال الليالي على ضفة اللوار في الجدل والبحث في حرية الانسان السياسية والاجتماعية مما غذى عقيدة شاعرنا الثورية وأذكى في نفسه نار التمرد والخروج على المبادئ القديمة . ولقد سوت له نفسه الانخراط في عداد الثوار وحضهم على مهاجمة معاقل الملكيين . بيد أنه لم ينفذ رغبته هذه لنفاد دراهمه كما يننا فعاد إلى انكلترا وفي نفسه غصة وفي قواده حرقه لحبوط مساه وتلوث اسمه بذلك الفعل المنكر

شقيقة :

كان للشاعر شقيقة اسمها دوروثي لا تقل عنه في توفد الذهن

شهداء الانسانية

للأستاذ عبد الرحمن شكرى

مقدمة

شهداء العلم والاصلاح يزدحمون على باب الحياة
ويسألون كل هالك : هل تحقق الخير الذى بذلوا
حياتهم من أجله ؟ فتدركه الحياة ! أيكذب ك
يدخل على قلوبهم الاطمئنان ، أم يصدق فيهمهم
في آمالهم ، أم يفريهم بالصبر الطويل ككصبر
الأحياء على الشر ، أم يفريهم بالعودة إن استطاعوا
الى كفاح الحياة . وإذا استطاع أن يعزى
الشهداء الوقت فإذا يقول الشهداء الأحياء :
الناظم

على باب الحياة أرى زحاما من الأتباع عجب بهم وسالا
من العهد القديم الى زمان حديث قد مضوا زمرا توالى
هم ضحوا بهذا العيش كما يطيب العيش للأحياء حالا
إذا ما هالك ألفوه ظلوا على شنف يبدون السؤال :

بربك هل مضى قدر بشرى وخبت النفس هل أودى وزالا
وهل جفت دموع الناس طرا وهل بلغت من العيش الكالا
وذلل الجوع هل قد زال عنهم وكان سوادهم هملا مئالا
وجهل يقتدى بالناس بهما يصرقها يمينا أو شمالا
وهل غلبوا من الشهوات ما قد عدا سلطانه فيهم وغالا
أصار العيش من يقه وأمن وكان العيش لوما واقتالا
أعاد العيش عدلا واعتدالا وكان العيش مكرا واعتيالا
بربك لا يقل إنا غينا وإن هزا الحيا بننا وصالا

أينبهم بآمال عزار وما نال الردى منها مثالا
يقول لهم : لقد رنتم خيالا وأسدتم وخيمت ضلالا
أيسكت والسكوت له معان أينبهم وما ألفوا احتيالا
أيفريهم بصبر مثل صبر لدى الأحياء دام لهم وطالا

أتأتى أن موتى لم ينالوا من العرفان ما يرتجى نوالا
أيفريهم يبتغ النفس ياسا إذا استطاعوا عن الأخرى انتقالا
أيسخر أنهم - وهم رفات - أبوا للعيش سقا واعتلالا
فيا عيش الورى ماذا تراه يقول لهم إذا ألقى مقالا

يقول لهم إذا استطعتم نعودوا دفاعا للنواب أو صيالا
إذا الأحياء لم يرعوا عهدا لأحياء فلا تشكوا انحذالا

يقول لمعشر الأحياء منهم ليقتضوا العيش صبرا أو زالا
أيندح أن تقاسوا العيش نحسا ليعبد بكم حبا وآلا
وكم من نمة لولا شقاء قديما لم تكن إلا وبالا
فكم خير الأوائل من شقاء فننا من شقاتهم نوالا

عبد الرحمن شكرى

مفتش وزارة المعارف

خمر الرضا

للدكتور ابراهيم ناجى

يا حبيبى استغنى الأمانى واشرب بوركت خمر الرضا وهى تسكب
بورك الكأس والحباب الذى يز

فص فى الكأس والشاع المذهب
نصبت رحمة الوجود جميعا وبك الرحمة التى ليس تنضب
ولئن ضاقت السماء بشجوى فالسما التى بعينيك أرحب
وشقائى وساد رأسى إذا غدت توترسأى حينما أنقلب
كم تمنيت والعدور تحافى فى وترزور والوجوه تقطب
كم تمنيت صدرك البرى يترتا ح على حقيقه الطريد المذهب
هاتى وسدنى الحنان عليه جسدى متب وروحى متب

ابراهيم ناجى

أياصوفيا

بقلم أجمد الطرابلسي

أياصوفيا حان الفرق فاذكري

يهود كرام فيك ملوا وسلموا

حافظ ابراهيم

« أياصوفيا » تَدْرِي الذَّمَّوعَ وَتَنْفَعُ

وَتُسَيِّدِي عَلَى مَرِّ الْأَيْنِي وَتَنْصَبُ
تَسْكُرُ أَهْلُهَا لَهَا وَأَذَانَهَا فَوَادِحَهُ صَرَفُ الزَّمَانِ الْمُنْفَعُ
وَهَانَتْ عَلَى مَنْ كَانَ بِالْأَمْسِ مُشَقِّقًا

يُدْفَعُ عَنْهَا الْعَامِيسُ وَتَنْفَعُ
فَوَاسِقًا مَاذَا أَسَاءَتْ وَأَذْنَبَتْ وَقَدْ يُغْفَرُ الذَّنْبُ الْعَظِيمُ لِلْبَرْحِ
أَتَهْجُرُهَا أَبْنَاؤُهَا دُونَ رَحْمَةٍ وَتَتْرَكُ فِي أَيْدِي الْأَسَى تَنْصَوُّحُ
أَلَمْ تَكُنْ مَحْرَابَ الْخِلَافَةِ أَعْصَرًا يَرْفُ عَلَيْهِ الْمَجْدُ وَالْعِزُّ يَصْدَحُ
إِذَا سَمِعَ النَّاسُ الْأَذَانَ رَأَيْتَهَا تَكَادُ بِأَفْوَاجِ الصَّلَاتِ تَنْطَفِعُ
وَأَنْ تَلِي الْفُرْقَانُ فِيهَا رَأَيْتَهَا تَحَابِلُ مِنْ تَرْبِيلِهِ وَتَرْتَجُ
فَأَضَحَّتْ خَلَاءَ لَا الْحَايِمُ خُشَعُ لَدَيْهَا، وَلَا الدَّاعِي الْمُؤَذِّنُ يُفْضَعُ
وَعُطَّلَ فِيهَا الدِّينُ فَهِيَ وَجِيهَةٌ تَضِجُ شَكَاةً وَالنَّائِيرُ نُوْحُ

« أَتَاوَزُكَ » لَا يَفْرُكَ أَنْتَ حَاكِمٌ مُطَاعٌ، تَرُدِّي إِنْ أَرَدْتَ وَتَصْنَعُ
رَوَيْدَكَ إِنْ الدَّهْرُ - مَذْكَانٌ - قَلْبٌ

يَعُودُ فَيَسْتَقْفِي الَّذِي كَانَ يَمْنَحُ
لَعَمْرُكَ إِنْ أَسْبَيْتَ رَبًّا مَسُودًا أَنْتَ لَمْ مَائِدِي الصَّبَاحُ وَيَفْضَحُ؟
إِذَا الْعَيْنُ نَامَتْ عَنْ أَدَى الدَّهْرِ غَفْلَةً

تُفِيقُ عَلَى الْهَوْلِ الْعَظِيمِ وَتُنْفَعُ
وَأَنْتَ الَّذِي يَدْعُونَكَ الْيَوْمَ مُصْلِحًا قَبْلَ يَهْدِيمِ التَّارِيخِ وَالْمَجْدِ مُصْلِحُ
لَنْ كَانَ قُبْحًا نَبْذَكَ الْعَرَبُ جَانِبًا فَنَبْذَكَ لِلدِّينِ الْقُدْسِ أَقْبَحُ
حَقُودٌ عَلَى الْعَرَبِ الْكِرَامِ صَبَبَتْهَا

عَلَى الدِّينِ، مَا تَنْفَكُ نُورِي وَتَقْدَحُ

تَبِينَ فِيهَا الْقَدَرُ وَاللَّوْمُ وَالْأَذَى « وَكُلُّ إِنَاءٍ بِالَّذِي فِيهِ يَنْضَحُ »
تَجَرَأَتْ مَقْتَرًا عَلَى الدِّينِ أَهْوَجًا وَلَكِنَّ دِينَ اللَّهِ أَسْمَى وَأَسْمَحُ
وَشَمَرَتْ لِلدِّينِ الْخَفِيفِ مَغَالِبًا فَوَا عَجَبًا أَنْتَ الْأَجْمُ وَتَنْطَفِعُ
وَمَا نَاصَبَ الدِّينَ الْمَدْلُوعَةَ أَحَقُّ مِنَ النَّاسِ إِلَّا عَادَ وَهُوَ يُجْرَحُ
وَلِلَّهِ عَيْنٌ تَكَلَّلُ الدِّينَ بَرَّةً وَتُدْفَعُ عَنْهُ كُلُّ مَنْ جَاءَ يَنْبَحُ

بَنَيْتُمْ عَلَى الْإِسْلَامِ شَامِخَ مُلْكِكُمْ فَلَسْتَ إِذَا هَدَمْتَهُ الْيَوْمَ تَنْفِلِحُ
وَإِنْ أَيْدِي الْعَرَبِ فِيكُمْ كَثِيرَةٌ وَمَا خَرَهَا أَنْ تَنْكِرُوهَا وَتَقْدَحُوهَا
وَلَوْ لَا نَهَاوِيلُ الْخِلَافَةِ لَمْ يَكُنْ « لَعْمَانُ » فِي ضَعْفِ الْمَالِكِ مَطْمَحُ
فَإِنْ تَهْجُرُوا الدِّينَ الْقُدْسَ فَارْجِعُوا

سَوَاءٌ تَرْغَى فِي الْمَرْجِ وَتَسْرَحُ

« أَتَاوَزُكَ » حَاذِرٌ مِنْ بَنِي الْعَرَبِ وَثَبَّةٌ

وَإِنْ غَرَّدُوا بِاللَّسْمِ يَوْمًا وَلَوْ حُوا
فَجَبَّهْمُ حُبُّ الذَّنَابِ لِنَمَجَةٍ رَسَائِلُهُمُ الْبَرَّاقُ سِلْمٌ مُسْلَحُ
فَصَنَّتْ عُرَى الشَّرْقِ الْعَزِيزِ بِزُرَّةٍ

مِنْ الْحَقِّقِ مَا تَنْفَكُ تَنْزُرُ وَتَجْمَحُ

وَقَطَعْتَ أَسْبَابَ الْقَرَابَةِ عَامِدًا وَهَذَا الَّذِي يُرْضَى عِدَاكَ وَيُفْرَحُ
أَأَنْتَ إِذَا خُتِ الْقَرَابَةُ وَاجِدٌ مِنَ الْأَهْلِ مِنْ يَحْنُو عَلَيْكَ وَيَنْصَحُ
وَاللَّهِ لَا يَبْدِي لَكَ الْعَرَبُ حُرْمَةً وَلَوْ رُخْتُ فِي أَذْيَالِهِ تَنْتَفَحُ

يَقُولُ لَكَ الْعَرَبُ الْمُدِلُّ بِنَايِهِ وَقَدْ جَسَتْ تَسْجِدِي رِضَاهُ وَتَمْدَحُ
مَكَانَكَ يَاشَرْقِي وَارْجِعْ بِذِلَّةٍ فَنَظَرَ رَأَى الشَّرْقِي لِلْعِزِّ بَصْلَحُ
وَمَهْمَا سَمَا الشَّرْقِي فَالْشَّرْقُ نَمَجَةٌ تَسْنُ لِلْعَرَبِ السُّهُومِ وَتَذْبَحُ

فَلَا تَلْتَمِسُ عَطْفًا مِنَ الْعَرَبِ صَافِرًا

ذَلِيلًا فَمَا يَحْنُو الْقَوِيُّ وَيَنْصَحُ

وَلَا تَعِيدُ الْعَرَبِيَّ جَهْلًا فَايَمَا سَتَكْتَسِبُ مِنْهُ كُلَّ ذُلٍّ وَتَرْجِ

أَلَسْتَ تَرَاهُ رَافِعًا مَتَرَبَّصًا يَوَدُّ لَوْ أَنَّ الصَّيْدَ يَبْدُو وَيَسْنَحُ

أجمد الطرابلسي

دمشق

فصول ملخصة في الفلسفة الألمانية

١٦ - تطور الحركة الفلسفية في ألمانيا

فريدريك نيتشه

للأستاذ خليل هنداوي

غزوات نيتشه

الفكرة الأولى

حمل نيتشه في الغزوة الأولى على الكتاب الألماني « دافيد ستراوس » وعلى كتابه الذي أخرجه في درس الدين والمدنية ، والاعيان قديمه وحديثه . وقد يعتمد في نقده للجزء الثاني من الكتاب حيث يعلن « ستراوس » المثل الأعلى الذي يجده خير ما وجدته لأبناء الأجيال القادمة . ونيتشه يصب سوط نقده على الرجل الذي لم يعمل ولم يسفل ، بل وقف وسطاً قائماً بما آلى إليه ، يأخذ من كل علم بحزمة ، ويقنع من كل فن بضمة ، ويستند بأنه بلغ الدرجة القصوى من الكمال الانساني

نحو

أنت لحن الفؤاد في الخلقان
رافق القلب ذكرك المذب كالما
إن هذي الحياة - وهي شؤون -
أنا من أخلقك احتملت حياتي
رب ليل مضى عليك هنيئاً
طيفك العايب الكذوب يند
وأرى عطفك البعيد قريباً
ثم يحنو علي طيفك حتى
ونحل الوصال لثما وضاً
ثم أحمر فلا أراك حيالى
أبها الظالم الجليل ترفق
بفرداد
أبهم عباس

لا يؤمن « ستراوس » بحجة المسيح ، ولا برتاح لوجود الله ، وإنما يعمل على أن يوحى الى أنصاره أنت العالم ما هو إلا رحي ميكانيكية لا تبدأ عن دوراتها ، وما على الإنسان إلا أن يسلم من الوقوع تحت ثقلها . وهو في الأخلاق كذلك ، فلا يبشر بذهب خطر ، ولا يجرو على أن يطلب الى الفرد أن يستخدم مواهبه وان يكون كما تريد نفسه في الوجود . وإنما يقول هذه الجملة بعد نيتشه من اختلاف الناس في حظوظهم ومواهبهم ، « لاتنس أبداً أيها الانسان أن الآخرين هم أناس مثلك ، لهم نفس حاجاتك وذات مآربك »

بحسب كل ما يتجاوز حد الفهم الوسط قبيحاً ، لأن الديمقراطية تتجلى في التوسط لا في التطرف . فالنشيد التاسع « لبيتهوفن » لا يقع موقع الرضا إلا عند من يرون الغريب عبقرية ، والخروج عن المألوف والوزن سمواً . وقد ظن بنفسه أنه قهر « شوبنهاور » برهانه الركيك الذي رآه « إذا كان الوجود قبيحاً ، فالعقل الذي أوجده هو قبيح أيضاً ، فالتشائم إذن هو مفكر قبيح ، والوجود هو حسن وجليل . . . »

إن ستراوس في نظر نيتشه هو مثال العقل التوسط الذي يدعى معرفة كل شيء ، ويريد أن يفرض سلطته على الوجود . هو مفكر هباب لا يبلغ بفكره إلا منتصف الطريق ، ولا يستطيع أن يقصد نهايته . إنه متفائل يثق عينيته عن الآلام الضرورية للبشر خوفاً ورهبة . وهو مفكر يدهو الناس الى حياة قائمة خانة ، وبدلاً من أن يكرم رجال البقرية يعمل على مماكستهم لأنهم - بزعمه - خلقوا نظامه ومثله الأعلى باختراعاتهم حدود النبوغ التوسط

الفكرة الثانية :

وتصدى نيتشه في تأملاته الثانية للتاريخ ، وهو لا يجابه رجلاً معلوماً أو طائفة مشهورة ، وإنما ينازل مذهباً حديثاً بهم بأن يتبع ويطلع الحضارة المصرية بطابعه ، والتاريخ هو خير راع للحضارة وناقل لها ما ظل يعمل على خدمة الحياة ، وبحث الناس على نشدان الحياة السامية ، والتاريخ الموقوف على نشر المآثر يمثل للانسان آثار الأقدمين الرائمة ويبعث في روحه الأمل

بصورة أدنى إلى الحقيقة ، فلا يكتب التاريخ بمحومه وخصوصه ، وإعاً يقصر فيه على رجال الديمقراطية الذين أزرأوا في العالم ؛ هم لا يأتون ويتماقون حسب شريعة تاريخية ، ولكنهم يمشون وراء الزمان ؛ يمثل وجودهم المتصل التماسك معبراً ترابطت أجزاؤه واستمكنت عقده فوق الأمواج العاصفة . ولنعم هذا التاريخ الذي يرسم هذه الصورة ويخرج هذا التل ؛ وهذه هي جمهورية المباشرة التي تحدث عنها « شوبنهاور » . عبقري ينادى عبقرياً في أثناء المعذور واهضام الأجيال . ووظيفة التاريخ أن يجمع شتاتهم ، ويدنى بعضهم من بعض ، وأن يهيء - في كل مهلة - ولادة جديدة لبعري جديد . إذ ليست غاية الإنسانية من سيرها ذلك الغرض الذي ترخفت أنيه وإعاً غايتها تتمثل في النماذج الكاملة التي تخرجها وتنشئها في الوجود

الفقرة الثالثة :

ولم يقف الأمر عند تهديم المارة القديمة وآمالها المظخرة . فهو يقصد إلى تشييد عمارة المستقبل على دعامج جديدة ، فتحري عن عباقرة أحياء يستطيعون أن يذهبوا بالشباب إلى هذه المارة وإلى هدف جديد ، ينزع عنهم هذا التفاؤل المحدث ويروضهم أمام أنفسهم مجردين ، ومسئولين أن يرى له معلمين يساعدهونه على كشف نفسه ويعرفونه بنفسه ؛ من أين نشأت وإلى أين تذهب ؟

وقم - أو شادت المصادقات - أن يقع نيتشه مصادفة على كتاب شوبنهاور « العالم إرادة وتمثيل » وما كان نيتشه ليقدر أن هذا الكتاب سيقلب كل أطوار حياته ، ويترك نورة مستمرة في نفسه ، ثم تشتمل هذه الثورة وترزدها الأيام ضراماً ، فلا تبدأ إلا بمد أن تأكل نفسها ، وتعد السنة شواظها إلى نفسها فتهدأ الثورة بنورها على ذاتها ... فكان أول مشغله من هذا الكتاب الجديد شخصية ساحبه التجلية في كل حرف من حروفه ؛ وهو الذي يقول : « أنا من قراء شوبنهاور ، ممن يدركون أنهم سيتلون شوبنهاور من فاتحته إلى خاتمة ، وسيصفون إلى كل حرف همسه شفتاه . إن نفتي به ثقة عياء مازادها كرا الأيام إلا نباتاً »

فيلق هنداري

(يتبع)

المنه والزم المتأجج لا كمال معنى هذه الآثار ، ويعمل على رفع مثل الإنسانية الأعلى ناقصاً من قلبه التامهي بحسب الحاضر والاستسلام للذات . أما التاريخ التقليدي الذي يوحى للانسان احترام الأشياء الماتية ، وحسب الآثار الماضية ، فهو خير حقير يحمل أحبابه على الرضا بالحاضر المقنوت ، يسكرهم بذلك الماضي الذهني البعيد ويسكب في وجودهم القاتم المستكين مخدراً أشمرباً يعمهم على الركود . وهناك التاريخ الناقد المحاكم ، يمرض الماضي كله على عكسة العقل ويبحث فيه ثم ينفيه ، لأن كل ما كان من حقه أن يزول . - إن مثل هذا التاريخ هو سلاح محمود عند من أنفلت ظهورهم أعباء الماضي الثقيل ، وهم يريدون أن يطرحوها عنهم ويمشوا قدماً إلى ما خطت لهم الحياة

ولقد يستحيل التاريخ إلى قوة غاشمة سيئة حين يتفصل في طريقه عن الحياة ، وحين يود أن يفرض مذهباً خاصاً بعيداً عن مذاهبها ، إنه يصبح رسول موت لا رسول حياة . ينشئ من الانسان مجموعة محسوسة علوماً ومعارف . ويقتل فيه القوة التي تسوقه إلى العمل . . . إنه مجموعة أثرية لاحظ فيها لسطر من سطور العمل . ساحبها ضعفت شخصيته ، ونشأ في تفكيره حالة على غيره ، ونعلم أن التاريخ يجب أن يتلقنه تلقيناً ، وألا يضعه بنفسه . على أن المؤرخ الحقيقي الذي ينبغي لثله أن يسطر التاريخ هو من يقف تجاه السائلة التي يدرسها وقفة الخلق ، ويعمل دائماً على تشييد بناء الحاضر . رجل التجارب والسمو هو الذي يسطر التاريخ

وللتاريخ وجهة ثانية رائمة يستخلصها نيتشه : هي أن التاريخ يكرّم من التفاؤل ما كان عفوفاً بالكدر والخطر . ويحترم الميول الفعالة ويصد النظر . يمتدق المؤرخ أنه يرى في الحركة الإنسانية أثراً لا أعلم من أي عقل سام منحدره . بجهد العقل ليدرك أني بدأت هذه الحركة وأين يجب أن تنتهي ؟ والانسان لم يكن عظيماً إلا حين كان يشن الغارة على القدر ويمكن الحزب على القضاء الأهوج ، ولكنه يفعل ذلك دون أن يخرج من نفسه

ليس التاريخ الحقيقي بذلك التاريخ الذي يأتي على كل شيء وإعاً هو تاريخ أبناء البقرة ، وسيأتي عصر يتبدل فيه صورة هذه الحركات التي ألف التاريخ تسجيلها . وسترسم هذه الصورة

القصص

من أساطير الأقربين

القرية الظلمة

للأستاذ دريني خشبة

فأنهم لؤماء سفهاء ، وقد فقد علينا نورتك ماجشنا من أجلة
الليلة إلى هذه القرية . . .

« نسيت القفل يا أبتاه !! »

« أي قفل ؟ »

« الذي أقفل به في فا يتحرك بينت شفة »

« يا خبيث . . . أصمت »

وأشار الشيخ بيده إلى السبيل فارتدت وتكلمت وأورى
برقها وقبرقع رعداها ، وانصبت ميازيها بماء منمر . وانطلقا
إلى القرية . . .

ووقفا عند منزل نظم ضخم ذي شرفات ، فقال الشيخ :

« تثبت يا بني بأحياد الحائط حتى تكون عند النافذة ،

فانظر ماذا ترى »

وقبل الفتى ، ونزل ، وقال للشيخ :

« أبتاه ! نسوة عاريات يرقصن ، ونداء وجو ، و . . .

موسيقى . . . وفتيان وفتيات . . . و . . . »

« وماذا يا صغيرى العزوز ؟ »

« ودعارة ومهر يا أبتاه . . . لماذا جئنا هنا ؟ لماذا

جئنا هنا ؟ . . . »

« قلت لك جئنا لأريك عجبا هذه الليلة من طباع الناس ،

هلم إلى باب هذا المنزل »

وطرقا الباب ، فبرز لها فتى غمرا نيق وقال : « ماذا ؟

شحاذان قدران ! » فقال الشيخ :

« على رسلك يا بني . أنا رجل شيخ غريب ، وهذا ابني ،

وقد دعمتنا العاصفة فلجأنا إليك نرجو أن تصمنا خربة صغيرة

إلى الصباح ، ونطمح أن تبليغ لديكم بلقات . . . »

ذهبا يدلمان في هدأة الليل ، ويضربان في ظلام الوادي ،

ويشعلت أحدهما إلى الآخر حديث الآلهة ؛ وكلما نال منهما الجهد ،

جلسا يتسامران ، أو ينصت الشيخ ذو اللحية البيضاء المرتشة ،

إلى السحر الذي تنفثه قيثارة الفتى اليافع

« حبيبك يا بني ، فلقد كادت موسيقاك تبطل عمل العاصفة »

« وفيم تريد أن تستيقظ العاصفة يا أبتاه ؟ »

« أريد أن تستيقظ العاصفة لأريك عجبا هذه الليلة من

طباع الناس . أرى إلى هذه القرية الناعمة في أكناف الجبل ؟ »

« أين يا أبي ؟ »

« أنظر جيدا »

« أنظلام دامس ، وبكاد الحالك يختلط بسواد الصخر فلا

أرى شيئا . . . »

« أنظر في الجهة التي تشير إليها يدي »

وأشار الشيخ بيده فانبعثت منها شعاع من نور شديد

كبشت القرية للفتى

« آه . هذه هي . عشم خفيف أسابني الليلة يا أبتاه ؟ »

وكان الفتى يحلو اللعابة رقيق النكتة ، ثنائرا ، فقال له

الشيخ بخذره :

« إذا كنا عند القرية فلا تبدأ حديثا ، ولا تخاطبني إلا

أذن إخطاك ؛ وإياك أن تأتي بأشارة تسقط هيبتنا في أعين القوم ،

« غرفة ولقات؟ هاها... اذهبا اذهبا... لصوص !
 هذه حيل قطاع الطريق والسفاحين بلوناهما من قبل »
 ثم قذف بمصرع الباب في وجههما . فنظر الشيخ إلى
 ولده وقال : « أرايت ؟ سر إلى هذا البيت القريب »
 وقال لابنه : « هلم إلى النافذة فانظر ... »
 وتسلق الفتى وحقن قليلاً ، ثم قفز وقال : « أبته ! أناس
 يخزنون الذهب في خوابير عظيمة ويختمون عليها بالرصاص
 المذاب ؛ من أين لهم هذا الذهب كله يا أبي ؟ » فقال الشيخ :
 « هم لصوص يا بني ، وإن كانوا لا يقطعون طريقاً ، ولا يسطون
 على دار ؛ ولكنهم يمتصون دم الفقير والمتر ، ويصهرونه ذهباً
 ويكثرونه هكذا ؟ ! إنهم أصحاب هذه الضياع والبساتين ! هلم
 إلى بابهم ... »

وطرقا الباب ، وسألا طامأ ، ومبيت ليلة ، فقالت لهم
 المجوز صاحبة الدار :

« إن هذا العام عام شدة ، ولم تبق لنا الجماعة على زرع
 ولا زرع ، ماذا عندنا لنطعمكم ؟ هيكل زيوس قريب من هنا
 نأما فيه ، وكهنته أسخياء كرماء ، وعندما في كل آونة خر ...
 سيظمونكم ويسقونكم ، وربما قدموا ليكل منكم عادة ! فهم
 فساق عرايب ... إقصدا إليهم ... اذهبا ... »
 وقذفت بالباب في وجهيهما ...

قال الشيخ : « أرايت يا بني ؟ » فقال الفتى مداعباً :
 « نحن نستحق أضعاف هذا الهوان ، مالنا وللناس ؟ ! »
 فقطب الرجل جبينه وقال : « مالنا وللناس ؟ اذن ما نحن في
 هذه الدنيا يا بني ؟ ولكن ليس الآن ما أعددت لك من عبدة هذه
 الليلة ؛ سر بنا إلى ذلك القصر العتيق »

فلما كانا عنده ، تطالع الفتى فرأى محجاً كثيراً ما يزال
 يتشى ، والموائد حافلة بالأشربات والأشواب ، وبكل ماله وطاب .
 والندى البيض كالنجوم رافلات ، ورافلون ، في دشى وأفواف .
 وكان الفتى استعير من المعجب ، فقال للشيخ : « كل الناس
 يا أبته هائثون هذه الليلة القرودة إلا نحن ؛ ! الجميع يأخذ في
 نشوة ولذة ونحن نضرب في وحل ونشقى من غيظ ؟ ! »
 قال أبوه : « ألم أقل لك ألا تبدأ حديثاً حتى أبدأك ؟ هلم

إلى الباب » وقرعا الباب فبرز لها شاب منقول المضل كأنه
 هرقل . فلما سألاه حاجتهما ، قادهما إلى البهو الواسع حيث القوم
 فيما هم فيه من متاع

قال الشاب المنقول : « اليكم أيها الاخوان لصين من لصوص
 الدجاج عانا كثيراً في قرينتنا هذه ، ولولا طول الحذر ما دقم
 الليلة رجل دجاجة إنهما يطلبان مبيتاً وعشاء ، ولا
 أدري لم لم يقصدا إلى هيكل الأب زيوس حيث المبيت الوثير
 والمشاء الكثير ؟ ! وحيث أشياء أخرى »

وتعقه البار وتكبكبوا حول الثريين ، ثم أخذوا معهم
 في ألوان غير محتشمة من اللزاح الثقيل . هذا يتف شعرات من
 ذقن الشيخ ، وذلك يرفع ذيل الفتى مما وراء ، وهذه تساق
 الشيخ وتقبله وتقدم له كأساً من الخمر ، وتلك تتركب الفتى
 « زَقَّوْهُ ! » (١)

ولما فاضت الكأس بالشيخ والفتى ، نظر أحدهما إلى الآخر
 نظرات ، ثم غابا عن أنظار الجماعة ، كأنما تحولا إلى هواء
 فشده القوم ، وأوجسوا خيفة

لم يرح الرجل وابنه ينقلان في شوارع القرية اللوحة من
 بيت إلى بيت ، وكلما طلبا المبيت والمشاء استهزى بهما وطردا
 شر طردة وأخسها ، حتى فجر الفتى ويرم بحكمة والده في هذه
 الرحلة الضنية في ذلك البلد البخيل فقال له : « اذهب
 أنت فمستظرك على هذه الصخرة النائمة في حيد الجبل ، وسأنتل
 بموسيقاى حتى تعود » فقال الشيخ : « وحكى التي أردتك
 أن تراها بعينيك ؟ هلم ، هلم أترى إلى ذلك الكوخ ؟
 لنسج نحوه وليكن آخر مطافنا »

وكانت في الكوخ كوة صغيرة ينبثق منها نور خافت .
 فلما نظر الفتى تتم يقول : « أبته ! امرأة متهدمة وشيخ محطم !
 يا لبؤس الحياة ، ويا لشظف العيش ! لماذا أثرت الماصة يا أبي ؟
 إن الماء ينز عليهما ويبلل فراشهما . . . »

(١) لم يصر في هذه اللفظة التاية لتعبير عن الركوب على ظهر
 الإنسان مع لك السابقين والفرادين حول الوسط والفتى وقد استعملها
 أبو العلاء في رسالة الفخران فنقلناها عنه

« ستري أن هذا الكوخ هو وحده الذي يبق »

« ما ذا تعني يا أبني ؟ هل تهدم القرية ؟ »

« مه ! هلم فاطرق باب الكوخ . »

« قم يا فيلمون . إن بالباب طارقاً »

« ناهي يا بوسيز ! إنه البرد ترجم به العاصفة »

« لا . ليس برداً . إسمع ! أناس ينادون . قد تكون

بهم حاجة »

ونهض فيلمون متهاكاً على نفسه ففتح الباب . وما كاد الشيخ يذكر حاجته حتى هش صاحب الكوخ وبش ، وتلقى الرجل وابنه أحسن لقاء

« مرحباً مرحباً . . . أنما في حاجة إلى دفء . بوسيز .

انهضى يا امرأة فلو قدسى ناراً . أنا أعرف أن الحطب مبلل ، ولكن حاول . . . مرحباً يا كرام ممطرة ، فتحن نمتين على الحياة هنا بالصبر . بوسيز ، هاتي قرية التبيذ أولاً . ليس فيها الا صباية ! لا بأس ! سيشارك زيوس للضيفين فيها . . . هاتي شيئاً من الشمس الجاف يا امرأة . . . »

وتأتى بوسيز بقرية التبيذ ، وما يكون فيها إلا نمالة ، فيتناولها الشيخ ذو اللحية البيضاء ، فيتمتم فيها بكلمات فتتلى " تبيذاً من خير ما عصر باخوس ؟ ويبد أن يروي منها هو وابنه ، يدفع بها إلى صاحب الكوخ ممثلة كأن لم يمتد إليها فم . فيتولى الرجل دهش عظيم ويقول : « بحق زيوس إلا ما أخبرني أيها الصقي الصالح من أنت ؟ » فيقول الشيخ : « أنا أيها العزيز رجل قلة وأسفار وهذا ابني الموسيقى البارح . أتطرب للموسيقى ؟ »

ويهتز الرجل ، ريق الفتي على قيثارته لحناً كأنه لسان العاصفة بما فيها من سنابوق وهزيم رعد ومكاه ريح وتنقير مطر ، ثم هو مع ذلك لحن مشرق متألن يأسر اللب ولا يستأذن على القلب . . . وطرب فيلمون ، ورفقت جوائح بوسيز ، وأحضرت طبقاً به قليل من الشمس الجاف فقدمته للفتي ، ناسبة أن تقدمه الى الشيخ ، وهذا من أثر الموسيقى على أعصابها ، فقدمه هذا الى أبيه في أدب واحترام . . . وما كادت اليد البيضاء الناعمة تمس الناكهة حتى عادت إليها النضارة ، وتأرجحت منها أنفاس الحديقة ، وتضاعفت في الطبق حتى ملأته . فأكل الشيخ ،

وأكل ابنه ، وأكل فيلمون وزوجه ، وما لا يصدقان ما بران ! وظلاً يقدمان للضيفين كل ما استطاعاه . من خبز وأدم ، فكان القليل يزداد والشفوف يتضاعف . وكلنت ليهما لموزة مجفاه حاولا أن يجريا عليها التجربة فهما يذبهما ليهما منها سواء . يقدمانه للضيفين ، ليريا ماذا يكون من أمرها . ولكن الأوزة فزعت فزعاً شديداً ، وانطلقت في ناحية الشيخ تستجير به كأنها تكلمه . فابتسم ، وربت على ريشها الناعم النظيف ، وأجارها من سكين فيلمون

وكان نسيم السحر قد أخذ يهب في الأفق الشرق ، فقال الشيخ :

« أيها العزيز فيلمون . أينما التقية الكرعة بوسيز ، من إلهكم ! »

« إلهنا زيوس تبارك في علياء الأولمب ؟ »

« أو يسركا أن يكون ممكاً الآن ؟ »

« معنا ؟ هو دائماً معنا ! »

« أجل . هو دائماً مع عباده المخلصين . ولكن ، أيسركا

أن تكونا الآن في حضرة يحدثكما وتحدثانه ؟ »

فيصيح فيلمون :

« أنت هو زيوس . تقدست . تقدست »

ويسجد الرجل وزوجه ، وما تفتأ تأخذها رعدة شديدة

« أجل . أنا زيوس . أثبت أثبت هذه القرية . وهذا

ولدى همرز . انهض . والآن . مستزلزل الأرض زلزلها فلا تنزعها . . . »

ووقف زيوس ، وأشار بيده إشارة خفيفة الى الشرق ، ثم الى الغرب ، ثم الى الجنوب ، ثم الى الشمال ؛ ثم نظر الى فوق وتمتم بكلمات ، وجلس

وما كاد يفعل حتى رققت الأرض ، وسمع كأن الجبل القريب يندك ، وكأن الصواعق تنقض على المنازل فتقوضها ، وتنقلب القرية الى جحيم ملتهب ، وكلما أطل فيلمون أو أطلت امرأته من السكوة سرت فيهما رجفة أروع من رجفة الزلزال ، فيطمعنهما زيوس

« الكوخ يا إلهي ! أنا رجل فقير ! »

« مال كوخك يا فيلمون ! »

« إذا انهدم عشت في العراء ! »

وزارة المعارف العمومية

إعلان

- تعلم الوزارة عن حاجتها لشغل الوظائف الموضحة فيما يلي :
- ١ - مدرسون من خريجي مدرسة الزراعة العليا لتدريس مبادئ الزراعة وفلاحة البساتين من الدرجة السادسة الفنية على الأقل
 - ٢ - مدرسون من خريجي مدرسة الطب البيطري من الدرجة السادسة الفنية
 - ٣ - مدرسون من خريجي مدرسة الهندسة الملكية (القسم المدني) من الدرجة السادسة الفنية
 - ٤ - ملاحظو حقول من خريجي المدارس الزراعية المتوسطة من الدرجة الثامنة على الأقل
- وسيعين المرشحون لهذه الوظائف بالمدارس الزراعية المتوسطة في العام الدراسي سنة ١٩٣٥ - ١٩٣٦ ، كما سيعاين في انتخابهم الكفاية الفنية ثم الخبرة العملية الممتازة فيمن يرشحون أنفسهم للتعيين في الوظائف الموضحة في (١) (٢) (٣) (٤)

فعلى الراغبين في التعيين لاحدى الوظائف المذكورة أن يقدموا طلباتهم على الامتثارة رقم ١٦٧ ع . ح بعنوان حضرة صاحب العزة وكيل وزارة المعارف بالقاهرة بحيث تصل هذه الطلبات إلى الوزارة في ميعاد لا يتجاوز يوم ١٤ أغسطس سنة ١٩٣٥ ، وإذا كان الطالب موظفاً باحدى مصالح الحكومة فعليه أن يقدم طلبه بالطريق القانوني

« لا عليك ! فلن تقوض الزلازل إلا قصور العتاة ؟ »
وأشرق الشمس ، فنهض الآله الأكبر ، ونهض الجميع معه . وما كاد فيلمون يفتح باب كوخه الحفير حتى أخذه العجب وارته على عقبه مذعورا :

« مولاي ! لمن هذا القصر المشيد ؟ »
« هو لك يا فيلمون ، أمرت الآلهة فبنى لك في ساحة البحر جزاء كرمك . هلمنا نشهد غرقاته »
وانطلق الجميع ينتقلون في غرفات القصر وردهاته ، وكلما مر فيلمون وزوجه يتمثل آله سجدا له وأخبتا ، حتى إذا كانوا في أكبر ردهات القصر ، وقف زيوس وقال : « فيلمون ! هذا هيكلى ! وقد جطتك كاهنى الأكبر ، فمن الآن على ، فسأجيبك إلى كل ما تطلب »

فتبسم فيلمون وقال : « مولاي ! الشباب يا مولاي ! ليد الشباب إلى وإلى زوجى بوسيز ، ولنمش طويلا ، فإذا جاء عندك قلنت في يوم واحد في ساعة واحدة ! » وسجد يقبل الأرض بين قدى الآله الأكبر !
فقال زيوس : « انهض يا فيلمون فطلبك بحباب ، وستعيشان راغبين ! »

وسلم الآلهان وظا من الأنظار ، وخرج فيلمون وزوجه ليريا إلى القرية ، فلم يشهدا شيئا غير بحيرة تجم أمواجها ، وجزيرة مكبيرة خضراء في وسطها قصرها النيف ! فأمننا زيوس وسبحاله !

وعاشا طويلا ، وماتا في يوم واحد وساعة واحدة ، ونبتت دوحتان عظيمتان من أشجار السرو أمام باب القصر تخلدان ذكراهما في المصور ما
درينى منبئة

المخطوطات العربية

المخطوطات العربية القديمة لها مكانتها العليا ولا يقدرها قدرها إلا غواتها . لهذا جمع منها الكثير صاحب مكتبة العرب الشهيرة بالنجالة وعرضها للبيع بأثمان معتدلة كما أنه مستعد لشراء أمثالها من

الكتب وغيرها والموجود من المخطوطات في الأدب والتاريخ والشعر والروايات والصنعة الكريمة والطب وكتب إسلامية مختلفة في كل مذهب وغيرها من كل الفنون وجميع المخابرات مع صاحب المكتبة الشيخ يوسف البستانى بشارع الفجالة عمرة ٤٧ بمصر

البريد الأدبي

المؤتمر المصري الثالث للطلبة المصريين بأجملترا

أقام الطلبة المصريون في أجملترا مؤتمراً الثالث من مساء يوم الأربعاء ١٠ يولييه إلى يوم الاثنين ١٥ منه ، فحاضر في اليوم الأول لللازم حسن بكير في البوليس المصري والأمن العام : جالتهما وما يجب أن يكونا عليه ؛ وفي يوم الخميس ألقى الأستاذ أساء فهمي محاضرة عن (علاقة علم النفس بالتربية ومقاييس الذكاء) ، وكذلك ألقى الأستاذ عبد العزيز أمين عبد المجيد محاضرة عن (عيوب النظام المدرسي الحالي بمصر ومسائل إصلاحه) ؛ وفي يوم الجمعة تكلم الأستاذ يحيى نامق عن (حركات الشباب المصري وكيف يجب أن تتجه) ، والأستاذ حسن محمد الشمراني عن (رقي الصناعة في مصر) ، ثم تحدثت الآنسة حنينه خوري عن (الحبشة وعاداتها وعلاقتها بمصر) ؛ وفي يوم السبت تكلم الأستاذ إبراهيم حسن الموجي عن (فضل الاسلام في رفع منزلة المرأة) ؛ وفي يوم الأحد تكلم الأستاذ سليمان أحمد حزين عن (مشكلات السكان والنطاق القوي ومكانتهما من سياستنا التعليمية) ، والأستاذ يحيى عبد السلام الملايلي عن (علاقة الطلبة المصريين بأجملترا وكيف يجب أن تكون)

وفي يوم الاثنين انعقد المؤتمر بشكل جمعية عمومية لمراجعة النتائج التي وصل اليها في المحاضرات السابقة وللمناقشة شؤون المؤتمر الرابع المقبل وانتخاب اللجنة المدة لإدارته

بين الرصافي والريحاني

نشرنا في عدد مضى مارواه الريحاني عن الرصافي في كتابه الجديد (قلب العراق) وانتظرنا كلمة الأستاذ الرصافي في هذه الرواية . وقد قرأنا أخيراً في جريدة الاستقلال البغدادية كتاباً من الأستاذ الرصافي ينكر فيه كل ما عراه الريحاني اليه انكاراً يؤيد تعليقنا على هذا الخبر إذ ذاك ، وهذا كتاب الرصافي بنصه :

حضرة الأستاذ الفاضل صاحب جريدة الاستقلال الفراء
أرجو نشر الكلمة التالية في جريدتكم ولكم الفضل
والشكر :

أطعنني بعض معارفي على مارواه الريحاني عني في كتابه قلب العراق فعجبت منه واستغربته كل الاستغراب . لقد اجتمعت بالريحاني عدة مرات في أزمان مختلفة ، ومجالس مؤتلفة وغير مؤتلفة ، تجاذبنا فيها أطراف الأحاديث من كل نوع ، ولا أنذكرها اليوم لمرور الزمان ولاختلال ذاكرتي بالنسيان ، فأنا من هذه الناحية لا أستطيع أن أناقشه في صحة تلك الأقوال التي أسندها إلى ورواها عني . ولكنني الآن أستطيع أن أنفي نفيًا باتًا صحة كثير مما رواه في كتابه المذكور بدليل أن في تلك الأقوال ما لوقاله اليوم أحد غيري لأنكرته عليه أشد الانكار . إذن فكيف أقول للريحاني ما أنكره لوقاله غيري ؟ وفي الأخير أقول : إن كان كل ما يرويهِ الريحاني في كتبه من هذا القبيل فويل للحقيقة منه ، وويل له من الحقيقة !

معهد شرق في برلين

من أبناء برلين الأخيرة أن الحكومة الألمانية قررت إنشاء معهد جديد يسمى « العهد الشرق » يهتم بجامعة برلين ويعنى بدراسة اللغات الشرقية ومسائل الشرق وحضارته . وسيدعج في هذا المعهد الجديد ، معهد اللغات الشرقية القديم Seminar für Orient Sprachen الذي كان ملحقاتاً بجامعة برلين ، ومعهد اللغات السامية والعلوم الاسلامية ، والمعهد الصيني ، والمعهد الهندي الألماني . أما المعهد الياباني المخصص لدراسة المسائل والحضارة اليابانية ، فسيتق مستقلاً كما هو الآن نظراً لأهميته الخاصة

وفي هذا البناء ما بلغت النظر ، لأن الحكومة الألمانية الحالية وهي الحكومة الهتلرية قد اضطهدت حركة الاستشراق ، أعني الباحث الشرقية والاسلامية ، اضطهاداً شديداً ، لأن معظم أقطاب الباحث الشرقية والاسلامية من اليهود ؛ وقد طاردت الحكومة

المرأة والوسكشاف

نظمت أخيراً في انكلترا بعثة استكشافية جديدة لارتداد « الأرض الخضراء » (جرينلاند) في منطقة النجم الشمالي ؛ ورحلت البعثة فوق السفينة القطبية الشهيرة « كوست » وهي سفينة الدير أرست شاكتون الذي اشتهر باكتشافاته في تلك المناطق ، وعهد برئاسة البعثة الجديدة إلى الأستاذ واجر ، وبين أعضائها عدد من العلماء القطبيين المعروفين بين انكليز ودانماركيين ومنهم الأستاذ كورتولد الذي اشتهر بمخاطراته في الجزيرة الخضراء وقضى بها وحده شتاء كاملاً فوق الجليد في سنة ١٩٣١ . ومما يلفت النظر أن هذه البعثة القطبية تراقبها أربع سيدات هن زوجات أربعة من الأعضاء ، وسيقضين الشتاء مع البعثة في الجليد ، ويحتملن نفس المخاطر التي يحتملها باقي الأعضاء . وقد سافرت البعثة من نينجا ردين في اسكتلندا في أوائل شهر يوليو صوب البحار القطبية ، ويتولى تسيير السفينة بحارة من النرويجيين الذين عرفوا بخبرتهم في هذه البحار ، واحتملهم لهذه الأجواء وعلى ذكر مخاطرة المرأة في ارتداد الجبال والوهاد الخطرة في سبيل الثغبات الاستكشافية نذكر أن امرأة جغرفرها هي الدكتورة ماري آكلي أرملة النال الشهير كارل آكلي زرع السفر بجغرفرها إلى بعض مناطق أفريقية الوسطى في رودسيا وفي سواي لاند وزولولاند لدرس حياة الحيوان في تلك الأنحاء ، ولتعرف رسوم القبائل وعاداتها الوثنية . وقد سبق أن قامت الدكتورة آكلي بجعل هذه الدراسات في بعض أنحاء أفريقية الجنوبية ، وقامت أيضاً برحلات شاقة في الجبال الكندية بأمريكا ، ولها اكتشافات معروفة في تلك الأنحاء استحققت من أجلها عدة أوسمة وتقديرات علمية

خليل بك مطران وفرنقة التمثيل الحكومية

أصدرت وزارة المعارف قراراً بتعيين الشاعر الكبير الأستاذ خليل بك مطران مديراً للفرقة التمثيلية التي اعترفت الحكومة انشاءها تنفيذاً لاقتراح لجنة ترقية المسرح المصري بمراتب قدره خمسون جنيهاً في الشهر ؛ وهو تعيين معناه الجدي في انهاض هذا الفن الذي عيشت به الأهواء والقوضى فخرجت به عن سبيل النهضة العامة

التهلرية العلماء اليهود أشد مطاردة وشرذتهم من معاهدم ، وركدت بذلك معركة الاستشراق في ألمانيا ؛ وكانت هذه الحركة زاهرة بألمانيا قبل الحرب لأنها كانت يومئذ تجيش بالطامع الاستعمارية في الشرق وتشجع الباحث الشرقية والاسلامية وتنفيذها بالمال والبعوث ؛ ثم ضعفت هذه الحركة بعد الحرب ، وفترت هم العلماء المستشرقين لتخلي الحكومة عنهم وقصورها عن إمدادهم بالمال اللازم ؛ فهل نفهم من إنشاء « المعهد الشرق » الجديد أن الحكومة الهلرية ترمع العودة إلى تشجيع الباحث الشرقية ، وأن لهذه الخطوة علاقة بمطامعها السياسية والاقتصادية فيما وراء البحار ؟ هذا ومن جهة أخرى فالعروف أن الحكومة الهلرية تقيم سياستها على فكرة الجنس ، وأنها تنادي بالمحطاط الأجناس الشرقية وعدم كفايتها « لإنشاء الحضارات » وتعتبرها فرائس مشروعة لاستعمار الجنس الآري إلى آخر ما هنالك من مبادئ ومزاعم جديدة يعمل الهلريون على بثها وتدعيمها ؛ ولذا فانا نجد ما يدعو إلى التأمل في اهتمام الحكومة الهلرية بإنشاء « المعهد الشرق »

عميد أطباء فرنسا

من أبناء فرنسا أن الدكتور الكسندر جنيور عميد الأطباء الفرنسيين سنًا قد توفي في سن الثالثة بعد المائة ؛ وأنه لبث محتفظاً بصفاة ذهنه وقوة حواسه حتى اللحظة الأخيرة . وقد كان مولد هذا الطبيب المرموق في سنة ١٨٣٢ ؛ ودرس الطب ، ونال أجازته سنة ١٨٥٧ ؛ ثم نال شهادة العالمية الطبية سنة ١٨٦٩ ، واشتهر ببوغه في الجراحة ؛ وانتخب عضواً في أكاديمية الطب ، ثم رئيساً لها ، وانتخب أيضاً رئيساً لجمعية الجراحين ؛ وله مؤلفات قيمة في فن الجراحة مازالت حجة في بابها . وقد كان الدكتور جنيور طوال حياته شهيراً ذائع الصيت لا كطبيب نابغ فقط ، ولكن كرجل اجتماع جم الفكاكة ، وقد اشتهر بالأخص برسالة ألها في أواخر حياته عن « طول الحياة » ، وما يجب على الإنسان أن يتبعه من نظم التغذية والرياضة إذا أراد أن يعيش مائة سنة ، وخلاصة نصحه في ذلك أنه يجب الامتناع عن الإفراط في أي شيء ، في العمل أو في الراحة أو في الطعام أو في الشراب ؛ ويجب الامتناع بالأخص عن التدخين والخمر وغيرهما من المواد والعناصر المهلكة التي تبثها المدنية الحديثة



قواعد التحديث

من فنون مصطلح الحديث

نعمه « مكتب النعم العربي بدمشق »

للأستاذ الأمير شكيب أرسلان

اطلعت في مجلة « الرسالة » المصرية على كلام للأخ الأستاذ العلامة محمد بك كرد على ينتقد فيه كتاب « قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث » للمرحوم العلامة الأستاذ الشيخ جمال القاسمي بأنه كتاب قد جمع جمًا ولم يأت صاحبه فيه إلا برأي واحد وهو ترجيح قول الجلال الدواني على قول الشهاب الجفاجي في عدم التماسح بالأحاديث الضعيفة ولو كانت في مقام الترغيب في الفضائل . وقال : إن طريقة التأليف في عهد الارتقاء العلمي هي أن يأتي كلام المؤلف أكثر من شواهد ، وأنه لما ضعفت ملكة التأليف أصبحت الكتب عبارة عن نسخ أقوال من سلف ، وربما كان الشيخ جمال القاسمي آخر من جرى على هذه الطريقة وهي بسط آراء غيره ؟ وأنه قد حدثت في التأليف طريقة جديدة اليوم وهي أن المؤلف في فن يقتصر على لباب ماقرأ فيه ، ويدعم أقواله بشواهد من كتب القدماء أو المحدثين بأسلوب سهل سائق خال من الخطايات والسجع ؟

فالأستاذ كرد على ينتقد هذا التأليف رأساً من جهة أنه ليس على طريقة التأليف المصرية التي هي بزعمه الاكتفاء بالإشارة إلى ما كتبه القدماء أو التاخيص لأقوالهم بدون التزام النقل إلا ما جاء في سبيل التأييد والدعم . ثم إنه لم يكتف بنبذ الكتاب نفسه بل انتقد ناشره بأنه قدم له أربع مقدمات ، ثلاث لبعض الماصرين وذريعة للمؤلف ، وأن هذه المقدمات استغرقت أكثر من عشرين صفحة وماخرج الكلام في بعضها عن الدعاية

والتعجيد ؟ وكأن الأستاذ كرد على يريد انتقاد أخيه هذا في المقدمة التي من قلبي والتي أذكر فيها ما أعرفه عن الشيخ جمال القاسمي رحمه الله . وبعبارة أخرى قد نقل على أخينا الأستاذ ما صدرنا به كتاب « قواعد التحديث » من مناقب مؤلفه ، ولقد كنت أعني ألا يكون الأستاذ كرد على جمل من هذا موضعاً لنقده . وأنا أعني الآن أن أكون أسأت فهم كلامه . فأما من جهة مؤلف هذا الكتاب الشيخ جمال القاسمي فإنه من مفاخر الشام بالاتفاق ، وعين سار ذكر فضائلهم في الآفاق ، وليس محمد بك كرد على بالتى يجهل ذلك أو يقدر أن يغاري فيه ، وإنى لجلد مستغرب منه ضيق صدره بثنائي على رجل لا يتأذى اثنان في دمشق الشام في كونه من أفخاذ هذا العصر ومن العلماء الذين تحتج بحملهم دمشق في كل مقام مباهاة

فأنا لم أكتب عن الشيخ جمال القاسمي إلا ما أعلمه وأعتقد ، وإذا كان أخونا كرد على يسمي ذلك « تعجيداً » فإن التعجيد في عمله لا يكون موضع نقد ، فإن لم يعجّد الانسان مثل الشيخ جمال القاسمي في علمه واحاطته ، وقوة حجته ، ودماثة خلقه ، ورقة طبعه ، وسائر ما امتاز به من خلال الخير الكثيرة ، فيكون هو المقصر ، وهو الذي يستحق النقد . ما كنت أحب أن يغمز الأخ كرد على في مسألة كهذه ، ولا أعلم لماذا فعل ذلك ؟ وأما من جهة التأليف نفسه فإن الأستاذ الأكبر السيد رشيد رضا قد أعطاه حقه في إحدى المقدمات الأربع التي أشار إليها حضرة الأخ ، وقد ذكر كل ما يلزم من بيان مزايا الكتاب وقال انه لا يعرف كتاباً مثله في موضوعه وسيلة ومقصداً ومبدأً وغاية ، وتظن أن السيد رشيد رضا هو من يضع الحناء موضع الثقب ، ولا يكون مخالفاً للواقع إذا قلت إنني أنا والأخ كرد على لا نقدر أن نتكلم في علم الحديث إذا كان السيد رشيد رضا قد تلقف فيه كرة البحث

وبعد هذا فليست أرى ما يراه الأخ من أن القاسمي جمع جمًا ،

وان الجمع في التأليف هو خطة عهد التأخر ، بل قد وجد الجمع في كل من عهدي التقدم والتأخر . وفي أوروبا اليوم كتب كثيرة لا يزيد فيها أصحابها على الجمع ، وهم يتركون فيها الحكم لأرباب النظر ، وقد يوجد الانسان في ظروف زمانية أو مكانية تمنعه من التصريح برأيه ومن الترجيح والتجريح لاختلاف أذواق من يخاطبهم ، فيكون الجمع حينئذ هو أمثل الطرق ، ويكون كل قارى قادراً أن يستقى من هذا الجمع ما يستعذ به . فالشيخ جلال القاسمي كان يعلم ما في عصره ومصره من طبقات مختلفة ومنازع متباينة ، وكان هدفه ألا يصادم مشرباً خاصاً ولا يحكم لمذهب على مذهب ، بل يجمعها كلها تحت راية الهدى النبوي ، وينظم كلام ابن تيمية مثلاً إلى كلام الشمراني والشيخ الأكبر بحيث يكون كل من الطبقتين السلفية والصوفية واجدين في هذا الكتاب طلبتهم . وقد نسي أخوانا الأستاذ كرد علي عنده الشيخ جلال القاسمي عام ١٣١٣ عندما اتهم بالاجتهاد هو والرحوم الشيخ عبد الرزاق البيطار وآخرين من رفاقهما واعتقلوا من أجل ذلك وأهينوا ، فأصبح مثل الشيخ جلال وقد عضته الصراحة بأنبيائها يتجنب الخوض فيما يؤدي به إلى نكبة ، ويمجد الاكتفاء بعرض الآراء أسلم ، وربما أعلم أيضاً ، لأن مثل هذه الآراء لا ينتهي الخلاف فيها ، ولا تزال كل طائفة يجادل في كونها على حق إلى يوم القيامة . ففي بعض المواقف يكون السكوت أفصح من البيان ، وأبعد عن مثار الشبهات لاسيما عند ما يكون العالم الخبير بامور عصره وشؤون قطره واثقاً بأن المصلحة هي في جمع الكلمة ، وأن جمع الكلمة تحت راية الهدى النبوي لا يتأتى بالترجيح والتجريح والقول بأن هذا فاسد وهذا صحيح إلا في السائل التي لاخلاف فيها بين العلماء والتي إنما يختلف فيها العوام . . .

فكتاب « قواعد التحديث » لو كان يؤتى من هذه الجهة لما أطراه مثل صاحب النار هذا الاطراء كله وهو في علم الحديث الجليل الذي لا يطاول البحر الذي لا يساجل ، كما أنه يعلم من طرق التأليف القديمة والمتوسطة والعصرية ما لا يقدر أن يتكره العلامة الكرد علي . ثم إن هناك غمراً بالجمع ، وليس الأخ كرد علي وحده الذي بدأ بهذا التمز ، بل كان أحد الأصحاب أطلعني على كتاب للدكتور زكي مبارك لمحت فيه كلاماً يشبه أن يكون استصفاً للجمع أو استكباراً لأنبيائه ؛ وهذا باب جديد

عجيب إذا أردنا الآن أن ندخل فيه بطول بنا الأمر . فتكتفى بالقول إن السجع وجد في الجاهلية وجاءت منه أمثلة لأفصح فصيحائها ، ثم جاء في القرآن الكريم ، بل القرآن الكريم كله سجع وهو أبلغ الكلام العربي وغير العربي ، وجاء في كلام الصحابة والمخضرمين ثم في الطبقة التي تليهم ، ثم في التي تليهم ثم في التي تليهم إلى يومنا هذا . ولم نعلم أحداً غاب السجع من حيث هو ، وإنما يعاب السجع بالنسبة إلى المقام الذي يستعمله فيه الكاتب ، أي إنه لما كان السجع تقييداً بفواصل كما هو الشعر تقييداً بقوافير فلم يكن السجع مستحسنًا في المواطن التي يجب أن ينطلق فيها عقول القلم لكامل تأدية الماني على وجهها . وأما في المواطن التي هي أقرب إلى الشعر منها إلى الباحث العلمية الصرفة ، فليس السجع بالذي يبعد سبباً على العربية ، بل هو من محاسن هذه اللغة . وإن كان يجب حذفه من هذه اللغة من أجل كونه طريقة قديمة ومن أجل أنه عبارة عن زينة كلامية فإن هذا يؤدي بنا إلى اقتراح حذف الشعر أيضاً ، فإن الشعر هو من قبيل السجع طريقة قديمة وزينة كلام تتوخى فيها المحاسن اللفظية كما تتوخى المحاسن المعنوية ويراعى فيه الوزن والقافية وهو من قبيل الموسيقى . والموسيقى هي أيضاً قديمة والطبيعة البشرية تألفها بل تحتاج إليها بل تهتف بها . والشعر ضرب من الموسيقى ، فهو إذن من مقتضيات الطبيعة البشرية . والسجع وإن لم يكن مقيداً بكل تقييد الشعر فهو مقيد أيضاً بقيود لها مواقع في النفوس ، وهي في عملها مطربة مستعذبة ولا غبار عليها ، ولا يقدر أحد أن يقول إنني أنا مفرط في هذا المذهب لأنه ليس لأحد من الكلام الرسل أكثر مما لي ، ولكني لا أزال أرى السجع حلية الكلام العربي عندما يكون في عمله ، وذلك مثل مقدمات الكتب ومثل الخطب التي تلقى على الجماهير . وإن العرب قد اصطالحوا على السجع في أسماء الكتب ولم يخطئوا في ذلك لأن الكلام المجمع أعلن في الذهن من غيره . وعسى كلامي هذا يكون مقبولاً عند أخى الأستاذ الكرد علي ، ولا تتأثر به أسرة الأخاء القديم الذي بيننا والذي لا يمكن أن يطرأ عليه ما يوهنه سهما كان السبب ثقيلًا . فكيف إذا كان خفيفاً . وإن أدري فقد يكون أراد أن يداعبني ، ولا تكون هذه أول مداعبة بيننا

تكتب أرسوز

جيف